الدخيل في تفسير بعض القصص القرآني
عند أبي حيان رحمه الله تعالى
دراسة وتعليق

للدكتور محمود أحمد محمود مخلص

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد في كلية أصول الدين

والدعوة الإسلامية بطنطا

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، له الحمد في الأولي والآخرة حمدا طيبا كثيرا مباركا كما يحب مولانا ويرضي والصلاة والسلام علي رسول الله الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير صلاة مباركة طيبة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره علي الدين كله وكفي بالله شهيدا .

رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا، اللهم إني تبرأت من حولي وقوتي ولجأت إلي حولك وقوتك فافتح لنا بما تفتح به لعبادك الصالحين .وبعد ..

فلا يزال القرآن الكريم كتاب الله المنزل علي نبيه تبيانا وهدي للعالمين ختم الله به الكتب ،وأنزله علي نبي ختم به الأنبياء ، وجعل دينه خير دين ختم به الأديان ، فأوضح به وأفصح، وبين فيه وصرح ، دستور خالد لصلاح العباد والبلاد ، وهداية ورشاد حجة الرسول ومعراج الوصول والآية الكبرى والمعجزة العظمى جمع فيه عقائد أهل الإسلام وعبادات الأنام ، وحكم وأحكام وآداب وأخلاق وقصص ومواعظ وعلوم ومعارف ، فهو الذكر الحكيم والنور المبين الذي أخرج الله به عباده من الظلمات إلي النور ومن الضلال إلي الهداية ومن جور الأديان إلي عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلي سعة الدنيا والآخرة، (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون)[1]

١- سورة النحل الآية ٤٤

ولما كان الله تعالى قد تكفل بحفظ كتابه على مر العصور والأزمان كما قال سبحانه" إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"[١] ، فإن أحداً من الخلق لا يقدر مهما أوتي من قوة أن يمس هذا الكتاب بشيء من التحريف أو التبديل ، أو التغيير ، ومن هنا فقد رأى الحاقدون أن إتيان الكتاب من هذا الباب أمر مستحيل ، فداروا ليدخلوا عليه من باب آخر وهو تلفيق معانيه والتقول على رسول الله ﷺ بما لم يقله.

وبعض المفسرين نقل هذه النقولات وأضاف عليها ما بلغه من الإسرائيليات بحسن نية وسلامة قصد من غير تدقيق ولا تمحيص، وبعضهم اشتاطت به الأهواء فركبها وأول الآيات ،ولوى أعناق الألفاظ ،وأبعد النجعة عن المعنى المراد انتصاراً لمذهبه فشاع في التفسير كثير من الأباطيل ،فكان على علماء هذا الكتاب المستغلين به وبفقهه أن يهبوا للذب عنه ما استطاعوا ، وأن ينهضوا لتنقية تفاسيره مما شابهها من النقل المدسوس والأهواء المؤلفة .ومن أجل هذا أسرى لفيف من العلماء الغيورين على الإسلام للتصدي لهذه الافتراءات ودفعها عن كتاب الله تبارك وتعالى ،ومن هؤلاء عالمنا الجليل الإمام أبو حيان الذي يعد من المقلين من النقول الإسرائيلية ، فقد انبري للرد على الكثير منها في تفسيره ، وإن كان لا يعفيه من التبعة وقوعه –على قلة –فيما وقع فيه أكثر المفسرين ، فنجده بعد التمحيص لم يسلم منها تماما .

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

أولاً: حاجة المسلمين إلي مثل هذه الدراسة التي تذب وتدافع عن كتاب الله تعالي بما علق بتفسيره من الأباطيل والخرافات والأكاذيب التي كادت تصد الناس عن الرجوع إليها والتعويل عليها ،وطغي بعضها علي التفسير

١ – الحجر :الآية ٩

الصحيح لكتاب الله وأخفي مقاصده وبيانه الحقيقي وهدايته التي هي أقوم الهدايات وعقائده التي هي أسمي العقائد وأحقها بالقبول وأهداها للفطرة للبشرية .

ثانياً: هو أنني قصدت أن أخدم كتاب ربي بما فتح الله تعالى لي ووفقني إليه، عن طريق القصص القرآني في محاولة تنقية كتب التفسير من الروايات الدخيلة في تفسير القصص القرآني الذي يعد عاملا أساسا في تبليغ رسالة القرآن الكريم إلى العالمين بما يحتويه من المواقف التربوية التعليمية، والعبر والمواعظ الربانية التي يهتدي بها المسلم في حياته العادية والتعبدية.

ثالثاً: أن تنقية التفاسير من هذا الدخيل عمل جليل يعد جهاداً في سبيل الله لأن هذه الافتراءات والخرافات والقصص وجهها خصوم الإسلام والكائدون له فمقارعتهم بالحجة جهاد بالقلم والكلمة ودفاع عن سياج الإسلام المنيع.

رابعا: الدفاع عن كتاب الله وإحقاق للحق وبيان للتفسير الصحيح ،وليس من العيب الوقوع في الزلة؛ لكونها من خواص طبائع بني آدم، والحقُّ أحقُّ أن يُتبع، والباطل أحقُّ أن يُردَّ عليه، والخطأ أليق أن يُحذر منه ويجتنب. وعلماؤنا الأفاضل، إذا كان قد وقع منهم بعض الزلات ، دون تعمد لما ينطوي عليه من مفاسد ومخاطر، فإن لهم من المواقف الحميدة، والجهود الجليلة، والتحقيقات المرضية ما يجعلهم أئمة التفسير. فهذه هفوات لا تُقاس بجانب ما لهم من السابقة والفضل، وقدم صدق، كما لا تمنعنا من الاستفادة من جهودهم المخلصة المبذولة في خدمة القرآن وتفسيره.

وأما عن تخصيص البحر المحيط بالذات بالبحث والدراسة ما كان له من مكانة مميزة بين كتب التفسير فلم يكن مجرد تفسير بارز في مرحلة من

مراحل التفسير ، بل كان يمثل مرحلة مستقلة بنفسه لما أحدثه من مراجعات هامة في كتب التفسير بصفة عامة ،ولمواقفه النقدية ، وما تبعها من نشاط علمي جديد كامتداد لرؤيته المستقلة تجاه كثير من كتب التفسير . وما من أحد من العلماء إلا وقد رَدَّ ورُدَّ عليه، ونَقد وانتُقد عليه، واعتَرض واعتُرض عليه، ولم يعتبر ذلك انتقاصًا من بعضهم لبعض؛ بل الواجب هو التنبيه على الخطأ، والتحذير منه، ممن كان بالحجة والبرهان، مع أدب واحترام، وإجلال أهل العلم المخلصين، مهما بلغ الإنسان من العلم والفضل، فلن يزال مُعرَّضًا للوهم والغلط، وواقعًا في السهو والزلل، وهذا مما طبع الله عليه البشر.

خطة البحث

لقد اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة ومبحثين وخاتمة ، فذكرت في المقدمة أسباب اختيار الموضوع وأهميته وخطته البحث ومنهجه. وأما **الفصل الأول فعرضت فيه "تبذة عامة عن الدخيل والقصص** "وقد اشتمل على مباحث :المبحث الأول : معنى الدخيل والإسرائيليات والعلاقة بينهما ،والمبحث الثاني : ظهور الإسرائيليات ودخولها في التفسير .والمبحث الثالث أسباب وجود الدخيل في التفسير، والمبحث الرابع :خطورة الدخيل في تفسير القصص القرآني والمبحث الخامس :مفهوم القصص وأنواعه في القرآن الكريم ،وأما **الفصل الثاني فعنوانه "العلامة أبو حيان وموقفه من الإسرائيليات في تفسيره**" ويحتوي على مطلبين :المبحث الأول: التعريف بالعلامة أبي حيان والمبحث الثاني : منهج أبي حيان في رواية الإسرائيليات في تفسيره .

والفصل الثالث عنوانه" مظاهر الدخيل في تفسير بعض القصص القرآني عند أبي حيان" ويشتمل على مبحثين :المبحث الأول: موقف أبي حيان من الدخيل في تفسير بعض قصص غير الأنبياء عليهم السلام ،ويشتمل على

أربعة مطالب: المطلب الأول: موقف أبي حيان من الدخيل في قصة بناء البيت الحرام والحجر الأسود. والمطلب الثاني : موقفه من الدخيل في ما جاء في اسم النمروذ .والمطلب الثالث: موقفه من الدخيل في قصة إرم ذات العماد. والمطلب الرابع: موقفه من الدخيل في تفسير قصة هاروت وماروت. وأما المبحث الثاني فهو بعنوان: موقف أبي حيان من الدخيل في تفسير بعض الأنبياء وتضمن مطالب :المطلب الأول "موقفه من الدخيل في قصة الذبيح. والمطلب الثاني: موقفه من الدخيل في تفسير قصة داود عليه السلام والمطلب الثالث: موقفه من الدخيل في تفسير قصة سليمان عليه السلام .والمطلب الرابع :موقفه من الدخيل في تفسير قصة أيوب عليه السلام .والمطلب الخامس: موقفه من الدخيل في قصة يوسف عليه السلام . والمطلب السادس :موقفه من الدخيل في صفة حجر موسى عليه السلام وأما الخاتمة فبينت فيها أهم نتائج البحث ثم ذيلت البحث بذكر المصادر والمراجع مع فهرس الموضوعات.

وستكون عمدتي في هذا البحث طائفة من المصادر والمراجع التي عالجت موضوع الدخيل، والموضوعات والإسرائيليات في التفسير، ومن بينها نذكر على سبيل الاستدلال لا الحصر: كتاب: "التفسير والمفسرون " وكتاب:" الإسرائيليات في التفسير والحديث "وهما للدكتور محمد حسين الذهبي، وكتاب" الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير" للشيخ محمد أبي شهبة، وغيرها من كتب التفسير وعلوم القرآن وعلوم الحديث، التي ستكون بعون الله وتوفيقه زادا لي في بلوغ القصد من وراء هذا العمل.

وأرجو أن يتوفر لعملي هذا من صدق النية ، وجميل الإخلاص ما يعرضني لرضا الله تعالى عني ، وما يجعلني أهلاً لتقبله مني بقبول حسن ، ومثوبتي عليه ، وما يشفع لي في أي خطأ فيه ، أو قصور غير مقصود .وإن أكن قد وفقت فيما قصدت إليه ورجوته فذلك من الله تعالى،

وما التوفيق إلا من عند الله ﷻ ، وإلا فما أردت إلا الخير ، وبيان الحق، وأسأل ربي سبحانه العفو الكريم ، والصفح الجميل ، وأن لا يحرمني من الأجر لقاء إخلاصي فيه وحسن مقصدي منه . والله جل وعلا خير مأمول وأكرم مسئول ، وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الفصل الأول: نبذة عامة عن الدخيل والقصص

المبحث الأول : معنى الدخيل والإسرائيليات والعلاقة بينهما

أولاً : معنى الدخيل :

الدخيل في اللغة : هو فعيل بمعنى مدخول ، وهو الشيء الغريب، يقال : فلان دخيل في بني فلان إذا كان من غيرهم فتدخل فيهم، والدخيل الحرف الذي بين حرف الروي وألف التأسيس سمي بذلك لأنه كان دخيلاً في الكافية أي مختلفاً عنها ، والدخيل : العيب والغش والفساد ، والفعل " دخل " يختلف معناه باختلاف مشتقاته واستعمالاته، وقد استعملت اللغة في اللفظ بجميع مشتقاته ، فيأتي بمعنى " سقــط " كقول الرسول ﷺ دخلت العمرة في الحج [١] ؛ أي سقط فرضها بوجوب الحج ، ودخلت فيه ، والمدخول المهزول وتداخل الأمور تشابهها والتباسها .والدخلة فــي اللون : تخليط ألوان في لون، أي الاختلاط والامتزاج[٢]. والدخول في الشيء ضد الخروج منه ، ويستعمل ذلك في الزمــان والمكــان والأعمال كقوله تعالى "وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ"[٣] أي مكراً وخديعة وغشاً وخيانة [٤].

وعرفه الراغب فقال : الدخول نقيض الخروج ، ويستعمل ذلك في المكان والزمان والأعمال ، والدخل كناية عن الفساد والعداوة المستبطنة كالدغل ، وعن الدعوة في النسب يقال : دخل دخلاً ، ويقال: دخل فلان

---

١ – صحيح مسلم بشرح النووي – كتاب الحج – باب جواز العمرة في أشهر الحج (١ / ٤٨٤) ط : دار الحديث القاهرة .

٢ – لسان العرب لابن منظور (٢ / ١٣٤٣) دار المعارف – مصر .

٣ – النحل: ٩٢

٤ – بصائر ذوي التمييز للفيروزابادي (٢ / ٥٩) تحقيق : عبد العليم الطحاوي – المكتبة العلمية – بيروت .

فهو مدخول كناية عن بله في عقله وفساد في أصله ومنه شجرة مدخولة. والدخل طائر سمي بذلك لمدخوله فيما بين الأشجار الملتفة [١] .

ويتحصل من هذا أن فلك هذه الكلمة يدور على محور واحد هو العيب والفساد الداخلي الذي يخفى أمره على من لم يتنبه إليه ، ومما سبق يتضح لنا أن معنى الدخيل في اللغة هو : الشيء الغريب المختلط بغيره وهو ليس منه ، أو أنه يطلق على الأمر المختلط بغيره والمشتبه على الناس ، أو كما قال الدكتور فايد : يطلق على الوافد الذي تسلل من الخارج وليس له أصل في المحيط الذي تسلل إليه [٢].

الدخيل في الاصطلاح :

أطلق المفسرون أسماء متعددة للدخيل إلا أننا لم نجد تعريفاً صريحاً ، فمنهم من أطلق عليه : دخيل ؛ نظراً لدخوله واقتحامه على المعاني الحقيقية أو المجازية للقرآن الكريم وهو ليس منها ، ومنهم من أطلق عليه الموضوع نظراً لكذبه وافترائه ، ومنهم من أطلق عليه الغريب لغرابته وبعده عن الحقيقة . كما سموه

بالإسرائيليات نظراً لأهله وأصحابه وهم بنو إسرائيل [٣] فعرفه الأستاذ الدكتور ابراهيم خليفة رحمه الله فقال: (هو ما نقل من التفسير ولم يثبت نقله أو ثبت ولكن على خلاف شرط القبول أو ما كان من قبيل الرأي الفاسد) [٤] ويعرفه الدكتور عبد الوهاب فايد بتعريف آخر بقوله: (هو

---

١ – المفردات في غريب القرآن للأصفهاني (ص ١٦٦) – دار الفكر .

٢ –الدخيل في تفسير القرآن الكريم: د/عبد الوهاب فايد (١٣/١) – ط : أولى.

٣ –الإسرائيليات والموضوعات : د / محمد أبو شهبة (ص١٢) مكتبة السنة القاهرة ،ط:٤ ، التحبير في علم التفسير للسيوطي ص ١٥٠ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

٤ – الدخيل في التفسير د. ابراهيم عبد الر حمن خليفه ، مطبعة دار الكتاب بمصر رقم الإيداع ٢٩٤٧–٩٨٤ ج١ص٤٠

التفسير الذي لا أصل له في الدين علي معني أنه تسلل إلي رحاب القرآن الكريم علي حين غرة وعلي غفلة من الزمن بفعل مؤثرات معينة حدثت بعد وفاة الرسول صلي الله عليه وسلم)[١]

وهو تعريف فيه زيادات والصواب أن يقال :(هو التفسير الذي لا أصل له في الاسلام) والكلام الذي بعد ذلك بيان واشارة بإيجاز الى الطريقة والكيفية والأسباب التي أدت الى وجود الدخيل وهو شرح للتعريف.

فالحقيقة واحدة وإن اختفت الأسماء . وعلى هذا نستطيع أن نوضح معنى الدخيل في الاصطلاح في ضوء المعنى اللغوي فنقول :الدخيل: هو كل تفسير أو تقويل القرآن لا يتوافق ولا يتطابق مع قواعد الإسلام وأصوله مما يخل بمقاصد القرآن ووجوه إعجازه.

ثانياً : معنى الإسرائيليات :

لفظ الإسرائيليات جمع مفرده إسرائيلية وفي القصة أو الحادثة التي تروي عن مصدر إسرائيلي والنسبة فيها إلى إسرائيل وهو نبي الله يعقوب بن إسحاق ، وإليه نسب اليهود ، فيقال بنوا إسرائيل ، وهم أبناء يعقوب ومن تناسلوا فيما بعد إلى عهد موسى عليه السلام وحتى عهد نبينا محمد ﷺ وقد عرفوا بيهود أو باليهود من قديم الزمان أما من آمن بعيسى فيطلق عليهم اسم " النصارى" وأما من آمن بخاتم الأنبياء فيطلق عليهم المسلمين[٢] وأما سبب تسميتهم باليهود فقيل : إنهم سموا بذلك حين تابوا من عبادة العجل وقالوا إنا هدنا إليك أي تبنا ورجعنا .

١- الدخيل في تفسير القرآن الكريم – د. عبد الوهاب فايد ص١٣ ،ط ١، ١٣٩٨ هـ ، ١٩٧٨ مطبعة حسان

٢ -الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير : د / محمد أبو شهبة ص١٢

ومن التوراة وشروحها ، والأسفار وما اشتملت عليه ، والتلمود وشروحه والأساطير والخرافات والأباطيل التي افتروها أو تناقلوها عن غيرهم كانت معارفهم وثقافتهم ، وهذه كلها كانت المنابع الأصلية للإسرائيليات التي زخرت بها بعض كتب التفسير والتاريخ والقصص. وهذه المنابع وإن كان فيها حق فهي تشتمل على كثير من الباطل ، وإن كان فيها سمين ففيها غث كثير ومن ثم انجر ذلك إلى الإسرائيليات (١) .

ولفظ الإسرائيليات وإن كان يدل بظاهره على القصص الذي يروي عن مصادر يهودية إلا أن علماء التفسير والحديث يتوسعون في هذا اللفظ ويطلقونه على ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودية فهو في اصطلاحهم يدل على كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني . بل توسعوا فعدوا من الإسرائيليات ما دسه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث من أخبار لا أصل لها في مصدر قديم . وإنما هي من صنيع أعداء الإسلام الذين حاولوا النيل منه باختلاق الأباطيل والأكاذيب ليفسدوا بذلك عقائد المسلمين كقصة الغرانيق وقصة زواج الرسول ﷺ بالسيدة زينب بنت جحش (٢) وبالجملة فإن مصطلح الإسرائيليات جاء في التراث العربي الإسلامي ليدل على مجموعة من الأخبار والروايات والقصص التي جاء بها الكتاب المقدس عند اليهود، ودخلت أعمال المؤرخين العرب الأقدمين، وأعمال بعض المفسرين، إما عن طريق الرواة وهو الأكثر شيوعا، أو النقل المباشر عن هذا الكتاب.

---

١ – الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير د / محمد محمد أبو شهبة ص ١٣ .

٢ – الإسرائيليات في التفسير والحديث : د / محمد الذهبي ص ٢٠– سلسلة البحوث الإسلامية – ١٣٩١ هـ ١٩٧١م .

ثالثاً : العلاقة بين الدخيل والإسرائيليات :

والعلاقة بين الدخيل والإسرائيليات هي العموم وخصوص مطلق، أي أنهما يجتمعان في معنى الدخيل ، وتنفرد الإسرائيليات في الجزئية الخاصة بالنقل عن بني إسرائيل فالدخيل أعم من الإسرائيليات وأوسع مفهوماً لأنه يتناول ما روى عن بني إسرائيل وغيرهم .

وما أطلق على الدخيل الذي افتراه غير اليهود بإسرائيليات إنما هو من باب تغليب اللون اليهودي على غيره لأن أغلب ما روى من ذلك يرجع إلى مصادر يهودية ، واليهود قوم بهت وهم أشد الناس عداوة وبغضاً للإسلام والمسلمين .

كما أن اليهود كانوا أكثر صلة بالمسلمين من غيرهم ، وكانت ثقافتهم أوسع وأشمل من ثقافة غيرهم ولهم القدرة على الحيلة التي يصلون بها إلى تشويه جمال الإسلام ، من أجل هذا غلب اللون اليهودي على غيره من ألوان الدخيل على التفسير فأطلق عليه كله لفظ الإسرائيليات [١] .

١- الإسرائيليات في التفسير والحديث : د / محمد الذهبي ص ٢٣ .

المبحث الثاني : ظهور الإسرائيليات ودخولها في التفسير

كان لظهور الإسرائيليات ودخولها في التفسير عدة عوامل منها:

١ – تسرب الثقافة الإسرائيلية إلى الثقافة العربية

وذلك لأن في جاهليتهم كان يقيم معهم جماعة من اليهود القادمين إلى جزيرة العرب ، وقد جاء اليهود وجعلوا معهم ثقافات مستمدة من كتبهم الدينية وما يتصل بها من شروح ، وكانت ثقافتهم تعتمد أول من تعتمد على التوراة التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى" يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء"[١] كما يدل على بعض ما جاء فيها من أحكام ، فقال تعالى "وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ"[٢]

كذلك من كتبهم التلمود وهو عبارة عن مجموعة قواعد وتعاليم توارثها اليهود جيلاً بعد جيل وتناقلوها طبقة عن طبقة . هذا ؛ بالإضافة إلى السنن والنصائح والشروح التي لم تؤخذ عن موسى عليه السلام بطريق الكتابة وإنما أخذوها عن طريق المشافهة .

وكان للعرب في جاهليتها رحلات يرحلونها مشرقين ومغربين ، كما كانت لقريش رحلتان رحلة الشتاء ورحلة الصيف ، فرحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام ، وكان في اليمن والشام كثير من اليهود الذين كان يتم بينهم وبين العرب كثير من اللقاءات والتبادل بين المعلومات ، وكان هذا عاملاً من عوامل تسرب الثقافة اليهودية إلى العرب .

---

١ – المائدة: ٤٤

٢ – المائدة: ٤٥

إلى أن جاء الإسلام وظهر في الجزيرة العربية ، وكانت تقيم في المدينة المنورة دار الهجرة طوائف يهودية كبني قينقاع ، وبني النضير ، وغيرهم الذين كانوا يتبادلون المعلومات مع المسلمين ويسألون الرسول ﷺ عن بعض الأشياء إما تعنتاً وتحدياً وإما اختباراً وامتحاناً .

وكان أهم من ذلك كله دخول جماعات من اليهود إلى الإسلام مثل كعب الأحبار وعبد الله بن سلام ، وغيرهم ممن كانت لهم ثقافة يهودية عالية ولهم بين المسلمين مكانة مرموقة ومركز ملحوظ ، ومن هنا بدأوا يحتالون على الإسلام بصورة أوسع وعلى نطاق أرحب[١] من أجل ذلك كان لليهود النصيب الأوفر فيما دس على التفسير.

٢ – تسرب الثقافة النصرانية إلى العرب

كذلك من العوامل التي أدت إلى ظهور الإسرائيليات والدخيل في كتب التفسير أهل الكتاب وثقافتهم الدينية والتي تعتمد على الإنجيل .وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا بقوله تعالى" ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا"[٢] وقــد شرح الإنجيل بشروح مختلفة كانت تعد بعد ذلك مصدراً من مصادر الثقافة النصرانية بالإضافة إلى ما زاده النصارى من القصص والأخبار والتعاليم الناتجة عن تحريف الإنجيل والتي زعموا أنهم تلقوها من عيسى عليه السلام .

١ – الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ٣٣ ، الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ٣٤ – ٣٦ .

٢ – الحديد: ٢٧

٣ – الفرق الضالة من المسلمين

كالمعتزلة والباطنية وغيرهم ممن لهم تفاسير خاضعة لأهوائهم. من ذلك قولهم في تفسير قوله تعالى" وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ"[١] أن الزكاة مفروضة في كل عام مرة كذلك الصلاة من صلاها مرة في السنة فقد أقام الصلاة بغير تكرار ، وكذلك الصلاة لهما باطن لأن الصلاة صلاتان ، والزكاة زكاتان ، والصوم صومان ، والحج حجان ، وما خلق الله من ظاهر إلا وله باطن يدل على ذلك قوله تعالى"وذروا ظاهر الإثم وباطنه"[٢]

١ – النور: ٥٦

٢ – الأنعام: ١٢٠

المبحث الثالث أسباب وجود الدخيل في التفسير

كان لوجود الدخيل في التفسير أسباب ساعدت في نشره بهذه الصورة منها:

١ – ما دسه الزنادقة من اليهود والفرس والرومان وغيرهم في الرواية الإسلامية ، فقد دخل هؤلاء الإسلام وهالهم ماله من قوة فتربصوا به الدوائر وأضمروا الشر والكيد له ، وتستروا بالإسلام بل بالغ بعضهم في التستر فتظاهر بحب آل البيت .

ولما كانوا لا يملكون مواجهة سلطان الإسلام لا عن طريق الحرب والعداوة الساخرة ولا عن طريق الحجة والبرهان توصلوا إلى أغراضهم الدنيئة عن طريق الوضع والدس في المرويات الإسلامية عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين ، وكان هذا الصنف من أخبث الوضاعين إذ أنهم وضعوا على النبي أحاديث يناقضها العقل ، وإنما شاع ذلك وذاع بين الناس ؛لأن اليهود قوم ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب ، فمن السهل عليهم أن يحبكوا القصة في خبث ومهارة ويذيعوها بين أرباط العامة ومن يستخفونهم من البسطاء والجهلة (١) .

قال السيوطي : وضعت الزنادقة جملا من الأحاديث يفسدون بها الدين فبين جهابذة الحديث – أي نقاده – آمرها والله الحمد ، ومن هؤلاء الزنادقة سعيد الشامي المصلوب في الزندقة ، روى عن حميد عن أنس مرفوعاً " أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي إلا أن يشاء الله " ويضع هذا الاستثناء لما كان يدعو إليه من الإلحاد والزندقة والدعوة إلى التنبؤ " (٢) .

---

١ – ينظر : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ٨٦ ، الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ٤٢ .

٢ – تدريب الراوي للإمام السيوطي (١ / ٢٨٤) . مكتبة الرياض الحديثة – الرياض

٢ – ما ذكره بعض الزهاد والمتصوفة في تفسيرهم حيث استباحوا لأنفسهم وضع الأحاديث والقصص في الترغيب والترهيب وتقولوا في الحديث المتواتر وهو قول النبي ﷺ من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" (١)، وقالوا إنما نكذب للنبي ولا نكذب عليه ، وكل ذلك جهل منهم بقواعد اللغة لأنه كله كذب عليه ، لأن كل من ينسب إلى النبي ﷺ أو الصحابة التابعين ما لم يقولوه فقد كذب عليهم ، قيل لأبي عصمة نوح من ابن مريم من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة.

فقال رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبو حنيفة ومغازي محمد بن إسحاق فوضعت هذا حسبة لوجه الله ، وعن طريق هؤلاء دخل في التفسير شيء كثير (٢) .

٣ – كثرة القصاص الذين يطلبون الدنيا بالدين ، فقد ظهر في زمن التابعين وتابعيهم جماعة من أدعاء العلم والمرتزقة يطلبون الدنيا بالدين ويحتالون على ذلك بالقصص والوعظ ، وقد كانوا يطوفون بالمساجد والأسواق ،ويقصون من غرائب القصص وعجائب الروايات ما يستهوي العامة ، ويثير إعجابهم بغية التكسب والارتزاق والظفر بما يطلبون على أن البعض منهك كان سيء النية يقصد الإفساد في الدين .

ومن شأن العوام القعود عند القاص الذي يكون حديثه غريباً وعجيباً يرقق القلوب ويبكي العيون ، قـــال ابـــن الجوزي : معظم البلاد في وضع

١– أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم(١/ ٣٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه

٢ – تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لابن عراق الكناني (١٣/١).

الحديث إنما يجري من القصاص لأنهم يريدون أحاديث توافق وتثقف والصحاح تقل في هذا " (١) .

وصـــور العلامة " ابن قتيبـــة " مبلغ تأثير هؤلاء القصاص على العامة فقال فإنهم يميلون وجه العوام إليهم ويستدرون ما عندهم بالمناكير والغرائب والأكاذيب من الحديث فإذا ذكر الجنة قال فيها الحوراء من مسك أو زعفران وعجيزتها في ميل ويبوئ الله وليه قصراً من لؤلؤة بيضاء فيها سبعون ألف مقصورة في كل مقصورة سبعون ألف قبة في كل قبة سبعون ألف فراش ، ولا يزال هكذا في السبعين لا يتحول عنها كأنه يرى أنه لا يجوز أن يكون العدد فوق السبعين ألف ولا دونها .

ويقول لأصغر من في الجنة منزلة عند الله تعالى مثل الدنيا كذا ضعفاً وكلما كان هذا أكثر ازداد العجب أكثر والعقود عنده أطول والأيدي بالعطاء وعليه أسرع ، والله تعالى يخبرنا في كتابه بما في جنته بما فيه مقنع عن أخبار القصص وسائر الخلق (٢) .

فيصور لنا الإمام ابن قتيبة كيف استطاع هؤلاء القصاصون أن يستميلوا قلوب العامة بما يروونه من المناكير والأكاذيب عند ذكر الجنة مما يفرح القلوب ، أو ما كان يحزن القلب ويستدر الدمع ويفعلون ذلك لاستدرار المال من العامة ، وهذا ما أفزع العلماء وأزعجهم فطردوهم من المساجد ، ومنعوا الناس من الجلوس إليهم والاستماع لما يقصونه كما فعل الإمام علي كرم الله وجهه وغيره من الأئمة (٣) .

١- الموضوعات لابن الجوزي (١ / ٤٤) دار الفكر بدون تاريخ .

٢ - تأويل مختلف الحديث (ص ١٨٨) – ط : دار الكتاب العربي – بيروت .

٣ - ينظر : مناهل العرفان (٢ / ٢٣ ، ٢٤) والإسرائيليات في التفسير والحديث (ص ٤٣) ، وإحياء علوم الدين للغزالي (١ / ٣٤ ، ٣٥) – ط : المكتبة التجارية الكبرى .

٤ – الخلافات السياسية والمذهبية ، إذ سولت هذه الخلافات لأرقاء الدين وضعفاء الإيمان أن يضعوا أحاديث تؤيد مذهبهم وأحاديث في فضائل متبوعيهم ومثالب مخالفيهم ، وذلك كما فعل الشيعة ، ولا سيما الروافض ، فقد وضعوا في فضل علي وآله أحاديث كثيرة ونسبوا إليه كل علم وفضل وفيها ما يتعلق بتفسير بعض آيات القرآن وأسباب النزول . كما وضعوا أحاديث في ذم أبي بكر وعمر وعثمان وعمرو بن العاص .

وكما فعل أنصار العباسيين فقد وضعوا على ابن عباس رضي الله عنه روايات كثيرة ولا سيما في تفسير القرآن ، وصوروه بصورة العالم بكل شيء ، وتقولوا عليه ما لم يقل ، كما وضعوا أحاديث في مثالب الأمويين وذمهم ، وقابلهم أنصار الأمويين بالمثل ، فضلا عن أعقل العقلاء ،وإنما ينصبون بذلك المكيدة لضعفاء الأحلام وأرقاء الدين حتى يقعوا في ريبة فتزلزل من نفوسهم عقيدة أن الإسلام تنزل من حكيم عليم (١) .

٥– حسن النية والرغبة في فعل الخير

إن حسن النية لا يعني بالضرورة حسن العمل ، فقد تكون النية حسنة والعمل سيئ أو يؤدي إلى سيئ أو أسوأ، وقد كان هذا دأب بعض العباد ممن لا فقه عندهم في الدين ، يظنون أنهم يفعلون الخير أو يخدمون الدين ، ويدخل في هذا ما جاء في كتب التفسير تحت عنوان "فضائل الآيات والسور" وكذا ما جعلوا من الجزاء الكبير والثواب العظيم على العمل القليل أو السعي الهزيل ، وهؤلاء أدخلوا في الإسلام ما ليس منه ويصدق فيهم قول النبي صلى الله عليه وسلم "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"(٢)

١– أضواء على السنة المحمدية لأبي ريه (ص ١٢١) .

٢ – أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٢/ ٩٥٩)وأخرجه مسلم في باب الاحكام الباطلة ورد محدثات الأمور بلفظ "من عمل عملا...."(٢/ ١٣٤٢)

يقول الدكتور محمد أبو شهبة عن هؤلاء فيقول: "ما أشبه الليلة بالبارحة ، لا يزال بعض الخطباء ، ومقيمي الشعائر الدينية الذين ليس له علم بالحديث رواية ودراية ، ولا سيما من لم يتأهلوا التأهل اللازم لمن يتولى الإمامة والخطابة ، والذين لا يزالون يخطبون من الدواوين ، أو يعتمدون في خطبهم على الكتب التي لا يُعتمد عليها في معرفة الأحاديث والتمييز بين صحيحها ، وضعيفها ، وموضوعها ، والذين جعلوا غايتهم استرضاء الجماهير ، فيذكرون لهم أحاديث في الترغيب والترهيب ، وحكايات وقصصا مثيرة عجيبة ، أغلب الظن أنها من وضع القصاص ، وجهلة الزهاد الذين استجابوا ذلك ، وكان جل هممهم تملق الجماهير ، واستمالتهم بذكر المبالغات ، والتهاويل والعجائب ، والغرائب وما أجدر هذه الفئة بأن يحال بينها وبين الخطابة ، والوعظ ، والتذكير ، حتى لا يسمموا أفكار الناس ويفسخوا القيم الدينية والخلقية الصحيحة ، وتكون حجة على الإسلام لا حجة له"([1])قال ابن الصلاح: "والواضعون للحديث أصناف وأعظمهم ضررا قوم من المنسوبين إلى الزهد وضعوا الحديث احتسابا فيما زعموا ، فتقبل الناس موضوعاتهم ثقة منهم بهم وركونا إليهم ، ثم نهضت جهابذة الحديث بكشف عوارها ومحو عارها والحمد لله"[2]

١ – الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص: ١٩

٢ – مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث لابن الصلاح ص: ٥٨، مكتبة الفارابي ط:١، ١٩٨٤م

المبحث الرابع :خطورة الدخيل في تفسير القصص القرآني

إن الإسرائيليات قد حوت الكثير والكثير من الخرافات والأباطيل التي نسبت كذبا وزورا وبهتانا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ،وإلى بعض أصحابه الكرام ، كما نسب الكثير منها إلى التابعين ومسلمة أهل الكتاب ، وأورد الكثير من هذه الإسرائيليات بعض المفسرين في تفاسيرهم على هيئة الشرح لقصص القرآن الكريم دون النص على أن ذلك من الإسرائيليات ، وذلك أمر بالغ الخطورة ؛لأنه يفضي إلى النتائج التالية:

١ – ما اشتملت عليه من عقائد باطلة أفسدت على المسلمين عقائدهم وذلك بما ا نطوت عليه من تشبيه لله تعالى وتجسيم ، وصفه تعالى بما لا يليق ، وإهدار لكرامة الرسل والأنبياء ، ونفي العصمة عنهم وإلصاق التهم بهم ، من ذلك ما جاء في سفر التكوين من أن الله فرغ من خلق الدنيا فاستراح في اليوم السابع وبارك ذلك اليوم وقدسه لأنه استراح فيه من جميع عمله الذي عمله (١) في حين أن القرآن الكريم يكذب ذلك وينفي التعب عن الله تعالى فـــي صراحة ووضوح فيقول :"ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب"(٢)

ومن الدخيل في القصص القرآني الذي يتنافى مع عقائد الدين ويطعن في عصمة الأنبياء والمرسلين ما جاء في الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين من أن ابنتي لوط عليه السلام سقنا أبيهما خمراً فزنا بهما وحملنا منه وولدت كل منهما ولداً ابن الكبيرة أبو الموابين وابن الصغيرة ابن بني عمون إلى اليوم (٣) .

١– الكتاب المقدس – سفر التكوين – الإصحاح الثاني (ص ٥ فقرة ٣) .

٢ – ق: ٣٨

٣– الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين (ص ٣٩) .

وهذا مخالف أيضاً لما جاء في القرآن الكريم ، فالقرآن يصرح في وضوح بأن لوطاً عليه السلام أنكر على قومه الفاحشة في لون من ألوانها بقوله :"أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون"([1])

٢ – أن هذ الدخيل يظهر الإسلام في صورة دين يهتم بالخرافات منتزعة من عقول مخرفة وخيالات جماعات مضللة ، وهذا من شأنه أن يمنع الناس من الدخول في الإسلام فيتصورن أنه دين أوهام وأباطيل . ومن أمثلة تلك الأناجيل ما يروي في صفة آدم عليه السلام من أن رأسه كان يبلغ السحاب أو السماء ويحاكيها فاعتراه لذلك صلع ولما هبط على الأرض بكى على الجنة حتى بلغت دموعه البحر وجرت فيها السفن (٢) ومن أمثلة ذلك أيضاً ما ذكره بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى :"ق والقرآن المجيد" حيث قال: "إن الله تعالى خلق من وراء هذه الأرض بحر محيط بها ثم خلق من وراء ذلك البحر جبل يقال له (قاف) سماه الدنيا مرفوعة عليه ، ثم خلق الله من وراء ذلك الجبل أيضاً مثل ذلك الأرض سبع مرات ، واستمر على هذا حتى عد سبع أرضين وسبعة أجبل وسبعة سماوات . ومن هذا القبيل أيضاً ما يروى من أن الأرض على صخرة والصخرة علـــى قـــرن ثور فإذا حرك الثور قوته تحركت الصخرة (٣) هذه الأباطيل تصور الإسلام على أنه دين خرافة ليس فيه من الفكر ما يقنع العقل ، وهذا من شأنه أن يصرف الناس عن الدخول فيه .

---

١ – الشعراء:١٦٥، ١٦٦

٢– تأويل مختلف الحديث ص ٣٣٥ .

٣– الإسرائيليات والموضوعات لمحمد أبي شهبة ص٣٩ .

٣-إفساد الأخلاق : تترتب على ما تحدثه الإسرائيليات من فساد العقيدة فساد عظيم في الأخلاق ؛لأن الذي يقرأ ما ورد في بعض كتب التفسير من أن الأنبياء قد ارتكبوا كبائر الإثم والفواحش يسهل له فعل المعاصي لأنه يقول في نفسه : إذا كان هؤلاء وهم القدوة يصنعون ذلك فلا بأس بما يصنعه غيرهم من أمثالي ممن لم ينل مرتبة النبوة، ومن الناس من إذا رأى ابن جرير الطبري- على مبلغ علمه وجلالة قدره- يروي في تفسيره قصة داود عليه السلام مع امرأة أوريا ، وقصة سيدنا محمد صلى الله عليه مع السيدة زينب بنت جحش - دون تعقيب منه عليهما- أخذه على أنه صدق وحق ، واستباح لنفسه أن يفعل الخطيئة ، فإذا ليم على خطيئته قال في رضى واطمئنان :إن الأنبياء يذنبون ويخطئون.(١)

٤ - أن نسبة هذه الإسرائيليات إلى بعض علماء السلف من الصحابة والتابعين كادت تذهب بالثقة فيهم؛ إذ إن بعض الزنادقة والوضاعين أسندوا ما رووه إلى السلف الصالح الذين عرفوا بالثقة والعدالة ، واشتهروا بين المسلمين بالتفسير والحديث ، فاتهموا من أجل نسبة هذه الإسرائيليات إليهم ، وعدهم بعض المستشرقين ومن مشى في ركابهم من المسلمين مدسوسين على الإسلام وأهله (٢)

٥- أنها فتحت باباً واسعاً لطعون المبشرين والمستشرقين الذين يتصيدون كل أمر شأنه أن يهز الإسلام ويضعف شأنه في نفوس أتباعه بل يجعله ينظر إليه نظرة الشك والارتياب .

٦- تعلق النفوس بالمفضول، وإلى أمور لا خير فيها وتفاصيل لا تغني الموضوع إلا خيالاً، فشغلت الناس -كما يقول الدكتور الذهبي- :" عن

١ - الإسرائيليات في التفسير والحديث للذهبي ص: ١٠٤ بتصرف

٢- الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ٥٥ .

الغرض الأساسي الذي أنزل القرآن من أجله ، فألهتهم عن التدبر في آياته والانتفاع بعبره وعظاته والبحث عن أحكامه وحكمه إلى توافه لا خير فيها و تفاصيل لا يعدو أن يكون الاشتغال بها لوناً من العبث من أي الشجر كانت ، وما إلى ذلك مما طواه القرآن ، وسكت عنه لعدم فائدة تعود على المسلمين من ذكره لهم ومعرفتهم به [١] .

٧- أن هذا الدخيل قد صور الإسلامَ في صورة دين خرافي يعنَى بِتُرهات وأباطيل وأكاذيب لا سند لها من الصحة، ولكنها نسج عقولٍ ضالةٍ وخيالات جماعات مضللة، وهذا يشكك في علماء الإسلام وقادتنا من السلف الصالح -رضوان الله عليهم- وتصورهم بأنهم لا هَمَّ لهم إلا الأباطيل، فنفقد الثقة في هؤلاء. "وإن ما اشتملت عليه بعض الإسرائيليات من الخرافات ، والأباطيل ليصد أي إنسان -مهما بلغ من التسامح في هذا العصر الذي نعيش فيه -عن الدخول في الإسلام ، ويحمله على أن ينظر إليه نظرة الشك ، والارتياب. ولهذا : ركز المبشرون والمستشرقون طعونهم في الإسلام ونبيه على مثل هذه الإسرائيليات والموضوعات ؛ لأنهم وجدوا فيها ما يسعفهم على ما نصبوا أنفسهم له من الطعن في الإسلام ، وإرضاء لصليبيتهم التي رضعوها في لبان أمهاتهم. وهذه الأباطيل والخرافات مهما بلغ إسنادها من السلامة من الطعن فيه ، لا نشك في تبرئة ساحة النبي صلى الله عليه وسلم عنها :"وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى"[٢].

مثلًا: ما أورده ابن جرير الطبري بسنده إلى عطاء بن أبي رباح قال: لما أهبط الله آدم من الجنة، كان رجلاه في الأرض ورأسه في السماء، يسمع

١- المرجع السابق ص ٦ بتصرف .

٢ - الإسرائيليات والموضوعات في كتب لتفسير د: محمد أبو شهبة ص:١٢٠

كلام أهل السماء ودعاءهم، يأنس إليهم، فهابته الملائكة، حتى شكت إلى الله في دعائها وفي صلاتها، فخفضه إلى الأرض. فلما فقد ما كان يسمع منهم، استوحش حتى شكا ذلك إلى الله في دعائه وفي صلاته، فوجه إلى مكة، فكان موضع قدمه قرية وخطوه مفازة، حتى انتهى إلى مكة. وأنزل الله ياقوتة من ياقوت الجنة، فكانت على موضع البيت الآن، فلم يزل يطوف به حتى أنزل الله الطوفان، فرفعت تلك الياقوتة، حتى بعث الله إبراهيم فبناه. فذلك قول الله:" وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت..."[١] ولا شك أن هذا الخبر يحمل في طياته كثيرا من الإسرائيليات المخالفة للنقل والعقل .أما مخالفته للنقل: فهو لما في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعا ، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن "[٢]

فهذه الروايات وأمثالها مما يروى في قصص كثير من الأنبياء أكاذيب، ألقيت من بني إسرائيل على أمة الإسلام، فكانت آثارها سيئة، وكانت خطورتها شديدة.

وبعد فهذه بعض جوانب الخطورة على عقائد المسلمين وقدسية الإسلام من رواية الدخيل في القصص القرآني الذي ما أراد بكل هذا إلا هدم الدين الإسلامي ، بيد أن الله ﷻ قيض لدينه من يدافع عنه ويهتم به ، واقتضت حكمته تعالى أن يحفظ كتابه من تهم المبطلين المفترين ، فقيض الله له في كل زمان ومكان جنوداً أقوياء مخلصين ، وعلماء أتقياء صالحين يلتفون حول موائده يغترفون من بحور فيوضاته ، ويدافعون عن حياض ساحاته ،

١ – جامع البيان (٣/ ٥٩)

٢ – أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء باب خلق آدم وذريته(٢/ ١٦٩) ومسلم في صحيحه –كتاب صفة الجنة والنار– باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير (١٧/ ١٤١)

يذبون عن جلال قداسته أباطيل المغرضين وإفك الخراصون ، فنهض علماء الدين ورجاله من التفسير والحديث الذين اهتموا اهتماماً خاصاً بهذا النوع من الدخيل وقاموا بالتنبيه والإرشاد إليه حتى لا ينخدع الناس به ، ويقبلوه علـــى ما فيه مـــن غش وخداع ، وهذا تحقيقاً لقوله تعالى "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"[١]

١ – الحجر: ٩

المبحث الخامس: مفهوم القصص وأنواعه في القرآن الكريم

القصص لغة : القص تتبع الأثر . يقال : قصصتُ أثره : أي تتبعته ، والقصص مصدر ، قال تعالى : " فارتدا على أثارهما قصصا " [١] أي رجعا يقصان الأثر الذي جاءا به . وقال على لسان أم موسى " وقالت لأخته قصيه "[٢] أي تتبعي أثره حتى تنظري من يأخذه . والقصص كذلك : الأخبار المتتبعة قال تعالى " إن هذا لهو القصص الحق "[٣] ، وقال : " لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب "[٤] والقصة : الأمر ، والخبر ، والشأن ، والحال وقصص القرآن: أخباره عن أحوال الأمم الماضية ، والنبوات السابقة ، والحوادث الواقعة _ وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي ، وتاريخ الأمم ، وذكر البلاد والديار . وتتبع آثار كل قوم ، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه "[٥]

أنواع القصص في القرآن الكريم

يتنوع القصص في القرآن الكريم ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قصص الأنبياء، وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين، كقصص نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام.

---

١ – الكهف: ٦٤

٢ –القصص: ١١

٣ –آل عمران: ٦٣

٤ –يوسف: ١١١

٥ –انظر مختار الصحاح (١ / ٢٥٦) ولسان العرب (٧ / ٧٣)

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت ثبوتهم، كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. وطالوت وجالوت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.

النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة، والإسراء، ونحو ذلك[1]

١ – مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص: ٣١٧،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة: الثالثة ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م

الفصل الثاني العلامة أبو حيان وموقفه من الإسرائيليات في تفسيره

المبحث الأول: التعريف بالعلامة أبي حيان رحمه الله

أولا: اسمه ومولده ونشأته

هو أثير الدين، أبو عبد الله، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الأندلسي، الغرناطي، الحياني، الشهير بأبي حيان[١] نحوي عصره، ولغويه، ومفسره، ومحدثه، ومقرئه، ومؤرخه، وأديبه ،ولد في غرناطة في آخر شوال سنة ٦٥٤هـ، وبها نشأ [٢]

بدأ أبو حيان حياته بدراسة القرآن الكريم وحفظه، حتى ألمَّ رحمه الله بالقراءات صحيحها وشاذها. وجال في بلاد المغرب، ورحل إلى مالقا، ثم قدم إلى مصر قبل سنة ثمانين وستمائة.[٣] وقد أخذ العلم بالتلقي؛ فقال: «وعدّة من أخذت عنهم أربعمائة وخمسون شخصاً، وأما من أجازني فكثير جداً».[٤]

ثانيا: طلبه للعلم

نترك المجال ليحدثنا عن طلبه للعلم فيقول:" وما زلت من لدن ميزت أتلمذ للعلماء ، وأنحاز للفهماء ، وأرغب في مجالسهم ، وأنافس في نفائسهم ، وأسلك طريقهم ، وأتبع فريقهم ، فلا أنتقل إلا من إمام إلى إمام ، فكم صدر أودعت علمه صدري ، وحبر أفنيت في فوائده حبري ، وإمام أكثرت به الإلمام ، وعلام أطلت معه الاستعلام ، أشنف المسامع بما تحسد

---

١ – الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ،لابن حجر العسقلاني دار إحياء التراث العربي: بيروت، ٣٠٧/٤

٢ – طبقات الشافعية الكبرى، لعبد الوهاب بن علي السبكي٩/ ٢٧٧ تحقيق: محمود محمد الطناجي، ط١، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه : القاهرة

٣ – مناهج المفسرين د: منيع عبد الحليم محمود ص ١٨٣ ، ٢٠٠٠م، دار الكتاب المصري: القاهرة.

٤ – طبقات المفسرين للداوودي، ٢/ ٢٨٧ دار الكتب العلمية: بيروت

عليه العيون ، وأذيل في طلب ذلك المال المصون ، وأرتع في رياض وارفة الظلال ، وأكرع في حياض صافية السلسال ، وأقتبس بها من أنوارهم ، وأقتطف من أزهارهم ، وأبتلج من صفحاتهم ، وأتأرج من نفحاتهم ، وألقط من نثارهم ، وأضبط من فضالة إيثارهم ، وأقيد من شواردهم ، وأنتقي من فرائدهم.

فجعلت العلم بالنهار سحيري ، وبالليل سميري ، زمان غيري يقصر ساريه على الصبا ، ويهب للهو ولا كهبوب الصبا ، ويرفل في مطارف اللهو ، ويتقمص أردية الزهو ، ويؤثر مسرات الأشباح ، على لذات الأرواح ، ويقطع نفائس الأوقات ، في خسائس الشهوات ، من مطعم شهي ، ومشرب روي ، وملبس بهي ، ومركب خطي ، ومفرش وطي ، ومنصب سني ، وأنا أتوسد أبواب العلماء ، وأتقصد أماثل الفهماء ، وأسهر في حنادس الظلام ، وأصبر على شظف الأيام ، وأوثر العلم على الأهل والمال والولد ، وأرتحل من بلد إلى بلد ، حتى ألقيت بمصر عصا التسيار ، وقلت ما بعد عبادان من دار ، هذه مشارق الأرض ومغاربها ، وبها طوالع شموسها وغواربها ، بيضة الإسلام ، ومستقر الأعلام ، فأقمت بها لمعرفة أبديها ، وعارفة علم أسديها ، وثأي أرأبه ، وفاضل أصحبه ، وبها صنفت تصانيفي ، وألفت تآليفي ، ومن بركاتها على تصنيفي لهذا الكتاب ، المقرب من رب الأرباب ، المرجو أن يكون نورا يسعى بين يديّ ، وسترا من النار يضفو عليّ. فما لمخلوق بتأليفه قصدت ، ولا غير وجه اللّه به أردت"[1]

١ – البحر المحيط(١/ ١١، ١٢)

ثالثا: مكانته العلمية

عُرف أبو حيان بكثرة نظمه للأشعار والموشحات، كما كان على جانب كبير من المعرفة باللغة، أما النحو والصرف فهو الإمام المطلق فيهما، خدم هذا الفن أكثر عمره، حتى صار لا يُذكر أحد في أقطار الأرض فيهما غيره. وإلى جانب هذا كله كان لأبي حيان اليد الطولى في التفسير، والحديث، وتراجم الرجال، ومعرفة طبقاتهم، خصوصاً المغاربة[١]

قال عنه ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى: «شيخ النحاة، العَلَم الفرد، والبحر الذي لم يعرف الجزر، بل المد، سيبويه الزمان، والمبرّد إذا حميَ الوطيس بتشاجر الأقران، إمام النحو الذي لقاصده منه ما يشاء، ولسان العرب الذي لكل سمع لديه الإصغاء، وكعبة علم تحج ولا تحج، وتقصد من كل فج ، تضرب إليه الإبل آباطها ، وتفد عليه كل طائفة سفرا لا يفرق إلا نمارق البيد بساطها ،وكان الشيخ أبو حيان إماماً منتفعاً به، اتفق أهل العصر على تقديمه وإمامته، ونشأت أولادهم على حفظ مختصراته، وآباؤهم على النظر في مبسوطاته، وضربت الأمثال باسمه، مع صدق اللهجة وكثرة الإتقان والتحرّي».[٢]

وهو «من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات»[٣] وللصفدي عبارة جميلة يصف فيها سعة علم أبي حيان، يقول فيها: «كان أمير المؤمنين في النحو، والشمس السافرة شتاءً في يوم الصحو، والمتصرّف في هذا العلم، فإليه الإثبات والمحو، لو عاصر أئمة البصرة

---

١ – نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقري التلمساني ٢ /٥٤١.، دار صادر : بيروت١٩٦٨م.

٢ – طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي ٩/ ٢٧٩ تحقيق: محمود محمد الطناجي، ط١، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه : القاهرة.

٣ – الأعلام، للزركلي ٧/ ١٥٢ط٧، ١٩٨٦م، دار العلم للملايين : بيروت،

لبَصرهم، وأهل الكوفة لكفَّ عنهم اتّباعهم الشواذ وحذّرهم، نزل منه كتاب سيبويه في وطنه بعد أن كان طريداً، وأصبح به التسهيل بعد تعقيده مفيداً، وجعل سرحة شرحه وجْنة راقت النواظر توريدا. ملأ الزمان تصانيف، وأمال عُنق الأيام بالتواليف. تخرّج به أئمة هذا الفن، وروّق لهم في عصره منه سُلافة الدن، فلو رآه يونس بن حبيب لكان بغيضا غير محبّب، أو عيسى ابن عمر لأصبح من تقعيره وهو محدّب، أو الخليل لكان بعينه قذاه، أو سيبويه لما تردّى من مسألته الزنبوريّة برداه، أو الكسائي لأعراه حُلّة جاهه عند الرشيد وأناسه، أو الفرّاء لفرّ منه ولم يقتسم ولد المأمون تقديم مداسه، أو الزيدي لأظهر نقصه من مكامنه، أو الأخفض لأخفى جملة من محاسنه، أو أبو عبيدة لما تركه ينصبّ لشعب الشعوبية، أو أبو عمرو لشغله بتحقيق اسمه دون التعلّق بعربية، أو السكّري لما راق كلامه في المعاني ولا حلا، أو المازني لما زانه قوله:

إن مصابكم رجلا، أو قطرب لما دبّ في العربية ولا درج، أو ثعلب لاستكنّ بمكره في وكره وما خرج، أو المبرّد لأصبحت قواه مفتّرة، أو الزجاج لأمست قواريره مكسّرة، أو ابن الوزان لعدم نقده، أو الثمانيني لما تجاوز حدّه، أو ابن بابشاذ لعلم أن قياسه ما اطّرد، أو ابن دريد ما بلع ريقه ولا ازدرد، أو ابن قتيبة لأضاع رَحْله، أو ابن السراج لمشّاه إذا رأى وحله، أو ابن الخشاب لأضرم فيه ناراً ولم يجد معها نورا، أو ابن الخباز لما سجر له تنورا، أو ابن القواس لما أغرق في نزعه، أو ابن يعيش لأوقعه في نزعه، أو ابن خروف لما وجد له مرعى، أو ابن إياز لما وجد لإوازّه وقعا، أو ابن الطراوة لم يكن نحوه طريّا، أو الدبّاج لكان من حلّته

الرائقة عريّا. وعلى الجملة فكان إمام النحاة في عصره شرقاً وغرباً، وفريدَ هذا الفن الفذّ بُعداً وقربا»[١].

ولقد أخذ عنه العلمَ كثيرون حتى صار من تلامذته أئمة وأشياخ في حياته، وهو الذي جسّر الناس على كتب ابن مالك ورغّبهم فيها وشرح لهم غامضها.

رابعا: مؤلفاته: وأما مؤلفاته فكثيرة، انتشرت في حياته وبعد وفاته في كثير من أقطار الأرض، وتلقاها الناس بالقبول، ومن أهمها:[٢]

١- البحر المحيط ٢- النهر الماد من البحر «مختصر البحر المحيط»٣- الحلل الحالية في أسانيد القرآن العالية ٤- إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب ٥- المبدع في التصريف ٦-التذييل والتكميل في شرح التسهيل ٧- منطق الخرس في لسان الفرس ٨- التذكرة في العربية

هذا ، وكان أبو حيان مالكيَّ المذهب كعامة أهل المغرب والأندلس، ثم أصبح ظاهرياً، حيث انتشر هذا

المذهب في الأندلس، ولما قدم إلى مصر وجد مذهب الظاهرية مهجوراً فيها فتمذهب للشافعي [٣] وكان بعيداً عن الفلسفة، بريئاً من الاعتزال والتجسيم، متمسكاً بطريقة السلف [٤]

خامسا: وفاته :توفي رحمه الله عشيّة يوم السبت الثامن والعشرين من صفر، سنة ٧٤٥هـ، بمنزله بظاهر بالقاهرة، ودفن بمقابر الصوفية.[٥]

---

١ – أعيان العصر وأعوان النصر ،للصفدي ٢/ ٤٧٤ دار الفكر : دمشق . ١٩٩٨م

٢ – التفسير والمفسرون، للذهبي،١ /٣١٨ ط٦، مكتبة وهبة : القاهرة ،١٩٩٥م

٣ – الدرر الكامنة ، لابن خلكان (٣٠٥/٤) دار إحياء التراث العربي: بيروت

٤ – التفسير والمفسرون، ٣١٨/١

٥ – طبقات الشافعية الكبرى ٩ /١٧٩

المبحث الثاني : منهج أبي حيان في رواية الإسرائيليات في تفسيره .

يتمثل منهج أبي حيان في رواية الإسرائيليات فيما يلي :

أولا: يرى القارئ في تفسير البحر المحيط أنه من المقلين من إيراد الإسرائيليات في تفسيره ،وإذا ذكر رواية إسرائيلية فإنه يصدرها بقوله: روي أو قيل ليبين ضعفها ، وهو في الغالب لا يورد الأقوال والروايات الإسرائيلية في تفسيره.

ثانيا: يلاحظ من يقرأ البحر المحيط يجد أنه لم يسلم تماما من التأثر بالإسرائيليات ، شأن غيره من كتب التفسير التي تتجنب ذكر بعض الإسرائيليات، وتسوق بعضها ثم تتعقبه، ويفوتها البعض الآخر.

ثالثا: يتساهل أبو حيان أحيانا فيروي لنا قصصا أشبه بالأساطير دون أن يعلق عليها بشيء ما دامت محتملة في رأيه، ولا تطعن في عصمة نبي ، وليس مما يرجع إلى الأحكام بحيث يجب فيها تحري الصحة التي يجب بها العمل، وفي مثل ذلك يتساهل المفسرون كما يقول ابن خلدون[1] وهو يروي هذه القصص- لا سيما- قصص الأنبياء عن مقاتل ووهب بن منبه والكلبي والسدي وغيرهم ، وأحيانا لا يذكر من نقل عنه الخبر أو القصة ، ويكتفي بقوله" ذكر المفسرون" كما سيأتي عند تفسير قصة "إرم ذات العماد".

رابعا: عاب أبو حيان على المفسرين الذين يضمنون تفاسيرهم مثل هذه الموضوعات والإسرائيليات ، فذكر في مقدمة تفسيره أنهم "ذكروا ما لا يصح من أسباب نزول وأحاديث في الفضائل وحكايات لا تناسب وتواريخ إسرائيلية ، ولا ينبغي ذكر هذا في علم التفسير"[2]

---

١ – ينظر :مقدمة ابن خلدون ص: ٢٦٨

٢ – البحر المحيط(١/ ١٣) لأبي حيان ت : صدقي محمد جميل دار الفكر ــ بيروت ١٤٢٠ هـ

ولنضرب على ما سبق بمثالين :

١- قوله عند تفسير قوله تعالى "ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون"[١] : وقد نقل المفسرون عن ابن عباس والسدّي وغيرهما قصصا كثيرا مختلفا في سبب اتخاذ العجل ، وكيفية اتخاذه ، وانجر مع ذلك أخبار كثيرة ، اللّه أعلم بصحتها ، إذ لم يشهد بصحتها كتاب ولا حديث صحيح ، فتركنا نقل ذلك على عادتنا في هذا الكتاب"[٢]

٢- وفي تفسير قوله تعالى" وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين"[٣] قال:" وذكر المفسرون هنا قصة هلاك عاد وذكروا فيها أشياء لا تعلق لها بلفظ القرآن ولا صحّت عن الرسول فضربت عن ذكرها صفحا وأما ما له تعلق بلفظ القرآن فيأتي في مواضعه إن شاء اللّه تعالى"[٤]

خامسا: كما كان من منهجه في رد الإسرائيليات اعتماده على الصحيح من الحديث الثابت من السنة جاء ذلك في معرض تفسير قوله تعالى "فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين"[٥] حيث قال:" والذي دلّت عليه الآية أنه أرسل عليهم ما ذكر فيها وأما كيفية الإرسال ومكث ما أرسل عليهم من الأزمان والهيئات فمرجعه إلى النّقل عن الأخبار الإسرائيليات إذ لم يثبت من ذلك في الحديث النبوي شيء"[٦]

---

١ – البقرة: ٥١

٢ – البحر المحيط (١/ ٣٢٥)

٣ – الأعراف: ٧٢

٤ – البحر المحيط(٥/ ٩٠)

٥ – الأعراف: ١٣٣

٦ – البحر المحيط(٥/ ١٥٢)

وبهذا يستبين لنا مما سبق أن موقف أبي حيان في رواية الإسرائيليات بالمقارنة مع باقي المفسرين يعتبر موقفا إيجابيا؛ حيث لم يكثر من إيرادها ولم يذهب وراءهم ، وهو وإن وقع في شيء من ذلك ونقل بعضا منها فإنه غالبا ما يحيل على المصدر الذي نقل منه ، فنراه يذكر بعضا من الإسرائيليات ، وينبه على بطلانها .

سادسا: وإذا كان أبو حيان يقظا وحذرا من رواية كثير من الإسرائيليات معرضا تارة عن ذكرها ومنبها ومبطلا تارة أخرى، فإنه قد انساق في بعض الأحايين وراء جمهرة من المفسرين الذين ملأوا تفاسيرهم بتلك الإسرائيليات ، دون أدنى إشارة إلى ضعفها أو بطلانها غير أننا نجده في كثير من الحالات يحيل على ما نقل عنه ذلك من المفسرين ، وأنه يجعل العهدة عليهم ، وهناك إسرائيليات أخرى لم يعقب عليها أبو حيان لكنه يشير إلى من نقل عنه ذلك كالثعلبي والزمخشري وغيرهم .

فقد نقل أبو حيان بعضا من الإسرائيليات في تفسيره " البحر المحيط " ، وكان أغلب ما يرويه ينسبه لأصحابه ممن اشتهروا بمثل هذه المرويات كوهب بن منبه ، وكعب الأحبار، وعبد الملك بن جريج . ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى : " فوكزه موسى فقضى عليه.." [1]

حيث قال : (وعن ابن جريج : ليس لنبي أن يقتل ما لم يؤمر. وقال كعب : كان موسى إذ ذاك ابن اثنتي عشرة سنة ، وكان قتله خطأ ، فإن الوكزة في الغالب لا تقتل)[2]

وفي تفسير قوله تعالى: " اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري " [3]

---

١ – سورة القصص: ١٤

٢ – البحر المحيط(٧/ ١٠٩)

٣ – سورة طه : ٤١

قال : قال وهب بن منبه: قال الله لموسى عليه السلام: اتبع كلامي واحفظ وصيتي ، وانطلق برسالتي أرعاك بعيني وسمعي ، وأن معك يدي ونصري ، وألبسك جنة من سلطاني تستكمل بها العزة في أمري . أبعثك إلى خلق ضعيف من خلقي ، بطر نعمتي ، وأمن مكري ، وغرته الدنيا حتى جحد حقي ، وأنكر ربوبيتي . أقسم بعزتي لولا الحجة والقدر الذي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطش جبار.. ولكن هان علي وسقط من عيني، فبلغه رسالتي وادعه إلى عبادتي وحذره نقمتي ، وقل له قولا لينا ، فإن ناصيته بيدي ، لا يطرف ولا يتنفس إلا بعلمي .. في كلام طويل ، قال: فسكت موسى سبعة أيام.)[١]

ويمكننا أن نرصد مسلك أبي حيان في تعامله مع الإسرائيليات في تفسيره فيما يأتي:

١ –كان لا يرجع إلى القصص الإسرائيلي إذا كان في مرويات السنة الصحيحة ما يغني عنه ، مع تنبيهه على ضرورة التزام هذا المسلك. مثال ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: " فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها"[٢] **قال:** (وروي في كيفية ركوبهما السفينة وخرقها وسدها أقوال ، والمعتمد ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، قالا: فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ، فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم ، فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول ، فلما ركبوا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم ، فقال له موسى : قوم حملونا من غير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها ــ إلى قوله : عسرا ــ قال : وقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكان الأول من موسى نسيانا ، قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة ، فنقر ، فقال له الخضر : ما

١ – المرجع السابق(٦/ ٢٣٧)

٢ – سورة الكهف: ٧٠

علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر.)[١][٢]

وفي تفسير قوله تعالى :" ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين" [٣]

حيث ذكر أقوال المفسرين وما نقلوه من قصص وأخبار في شأن الذين مسخوا قردة هل كان لهم نسل أم ماتوا بعد مسخهم ؟ ثم قال : وروى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال لمن سأله عن القردة والخنازير أهي مما مسخ ؟ فقال: لم يهلك الله قوما أو يعذب قوما فيجعل لهم نسلا ، وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك.)[٤][٥]

٢- يرى أبو حيان أن أغلب الإسرائيليات التي راجت في كتب التفسير هي من وضع الزنادقة وأعداء الدين ، وأنها مما يشوه وجه الشريعة ، ويذهب بإشراقة هديها ونورها ، ومن تم يرى عدم جواز نقلها في كتب التفسير إلا من باب بيان زيفها وتناقضها ، ومخالفتها لما يدل عليه القرآن من أخبار وأحكام

من ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: " قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين"[٦] قال أبو حيان:" وحكى المفسرون عجائب مما جرى بقتل هابيل ، من رجفان الأرض سبعة

---

١ -أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب قوله " وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين٣٢٩/٨

٢ – البحر المحيط (١٤٩/٦)

٣ – سورة البقرة: ٦٤

٤ – أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب القدر ، باب أ ن الآجال والأرزاق وغيرها لا تنقص عما سبق به القدر . (٥٥/٨)

٥ – البحر المحيط (٢٦٤/١)

٦ – سورة المائدة:٣٣

أيام ، وشرب الأرض دمه ، وتغير الطعمة وحموضة الفواكه ، ومرارة الماء واغبرار الأرض وهروب قابيل بأخته إقليميا إلى عدن من أرض اليمن ، وعبادة النار ، وانهماك أولاده في اتخاذ آلات اللهو وشرب الخمر والزنا والفواحش ، حتى أغرقهم الله بالطوفان . والله أعلم بصحة ذلك" قال الزمخشري[١] : وروي أن آدم مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك ، وأنه رثاه بشعر ، وهو كذب بحت ، وما الشعر إلا منحول ملحون ، وقد صح أن الأنبياء معصومون من الشعر . وروى ميمون بن مهران عن بن عباس أنه قال : من قال أن آدم قال الشعر فهو كذب ، ورمى آدم بما لا يليق بالنبوة ، لأن محمدا أو الأنبياء ــ عليهم السلام ــ كلهم في النفي عن الشعر سواء ، قال تعالى: "وما علمناه الشعر وما ينبغي له ..")[٢] [٣]

٣- كما كان أبو حيان شديد اليقظة والتنبه لكل رواية من الروايات الإسرائيلية التي لها أدنى علاقة بما فيه غض من مقام النبوة ، وكان يصرح بأنه كان يجعل من عقله مصفاة لهذه الأخبار ، وإن كنا لا نوافقه في تحكيم العقل في كل شيء ، لأن العقل محدود ، و لا يمكن أن يكون حكما وحده في عالم الغيب وعالم الشهادة على حد سواء ، وإنما كان أكثر ما يرده من هذه المرويات من جهة العقل ، لأنه كان قليل البضاعة في علوم الحديث قليل الدراية بمسائله. ففي تفسير قوله تعالى :" .. وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب " [٤] قال أبو حيان (...ويعلم قطعا أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الخطايا لا يمكن وقوعهم في شيء منه ضرورة ، إذ لو جوزنا عليهم شيئا من ذلك بطلت

١ – ينظر: الكشاف(١/ ٦٢٦)
٢ – سورة يس: ٦٨
٣ – البحر المحيط(٣/ ٤٦٧)
٤ – سورة ص: ٢٣

الشرائع ، ولم نثق بشيء مما يذكروه أنه أوحى الله به إليهم ، فما حكى الله تعالى في كتابه يمر على مراده وما حكى القصاص مما فيه غض من منصب النبوة طرحناه ، ونحن كما قال الشاعر : ونؤثر حكم العقل في كل شبهة إذا آثر الأخبار جلاس قصاص ."[١]

٤- كان أبو حيان إلى جانب كل ذلك يزهد في الاشتغال بالإسرائيليات ، وينفر منها حتى وإن كانت لا تمس بالدين ، ويرى بأن على المفسر ألا يصرف جهده إلا فيما هو صحيح نقله ، نافع العلم به ، وما زاد عن ذلك وجب طرحه . ومثال ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: " وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون" [٢] حيث قال : (والظاهر أن الدابة التي تخرج واحدة ، وروي أنه يخرج في كل بلد دابة مما هو مبثوث نوعها في الأرض وليست واحدة فيكون قوله "دابة" اسم جنس. واختلفوا في ماهيتها ، وشكلها ، ومحل خروجها ، وعدد خروجها ، ومقدار ما تخرج منها ، وما تفعل بالناس وما الذي تخرج به .. اختلافا مضطربا معارضا بعضه بعضا ، ويكذب بعضه بعضا ، فاطرحنا ذكره ، لأن نقله تسويد للورق بما لا يصح وتضييع لزمان نقله ."[٣]

وبهذا يتضح لنا من خلال مسلك أبي حيان الأندلسي في نقد هذه الإسرائيليات وتزييفها والتزهيد فيها أن تفسيره يعد أرجح من كثير من التفاسير المقلة من هذا النوع من المرويات ، لما فيه من تعقيبات وتنبيهات نحسبه لم يسبق إليها.[٤]

---

١ -البحر المحيط(٧/ ٣٩٣)

٢ – سورة النمل:٨٤

٣ – البحر المحيط(٧/ ٦٩)

٤ – الموازنة بين تفسير الكشاف للزمخشري والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي د: رمضان يخلف، ص: ٧٠: ٧٤ بتصرف، كلية أصول الدين – جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية – الجزائر

يظهر لنا بهذا موقف أبي حيان من الإسرائيليات ، وكان لموقفه هذا الفضل في الإقلال منها في تفسيره، وقد امتدحه لهذا الموقف بعض العلماء، ومن هؤلاء الدكتور محمد أبو شهبة حيث يحدثنا عن ذلك فيقول: " وهو من التفاسير التي يقل فيها ذكر الإسرائيليات ، والموضوعات وقد عني بالتنبيه إلى الكثير منها ، وبيان عدم صحتها ، وتحذير القارئ من الاغترار بها ، وكثيرا ما يضرب عن ذكرها ، مشيرا إلى بطلانها ، وقد يوجزها ، ثم يكر عليها بالإبطال والتزييف ، ولا سيما فيما يدرك بطلانه وكذبه بالعقل والنظر ، لا بنقد الأسانيد ، والتعديل ، والتجريح ؛ لأنه لم يكن من أئمة الحديث ، ونقاده المميزين بين صحيحه وضعيفه. وذلك مثل ما فعل في تزييف قصة هاروت وماروت[١] ، وما روي في قصة يوسف عليه السلام وهَمِّهِ والبرهانِ الذي رآه[٢] ، وقصة داود عليه السلام وزوجة أوريا[٣] ، وقصة سليمان عليه السلام[٤] وما روي في سبب فتنة أيوب ، على ما ذكره الزمخشري[٥] ، وإن كان وافق على بلائه ، على ما روي ، وذكر في ذلك حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه تساقط لحمه.

ولم يسلم تفسير أبي حيان من الإسرائيليات والروايات الموضوعة المكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم- أو على الصحابة ، وذلك مثل ما ذكره في حجر موسى ، وعلى أي هيئة كان ، وما ذكره من الحديث المكذوب على النبي- صلى الله عليه وسلم- في أسماء الكواكب الاثني عشر التي رآها يوسف عليه السلام [٦] وكذا وقع فيما وقع فيه الزمخشري وغيره في

١ - البحر المحيط (١/ ٥٢٨)
٢ - السابق (٦/ ٢٥٨)
٣ -السابق(٩/ ١٤٦)
٤ - السابق(٩/ ١٥٥، ١٥٦)
٥ - السابق(٩/ ١٦١)
٦ - البحر المحيط(٦/ ٢٣٧)

في ذكر الروايات الباطلة في قصة إرم ذات العماد[١]. ومهما يكن من شيء فتفسير أبي حيان من التفاسير المتحفظة ، والمقلة في ذكر الإسرائيليات والموضوعات ، فرحمه الله ، وأثابه"[٢]

والخلاصة أن أبا حيان قد أورد في تفسيره شيئاً من الإسرائيليات، مما كان ينبغي عليه تنزيه التفسير عنه وعلى الرغم من الحاجة الماسّة لكل ما كتب في التفسير، إلا أنّ الأمر يتطلب وقفةً لمراجعة وتهذيب الكثير منها، لما داخلها من غثّ، ولما شابَها من كَدَر. فحقيقٌ على مفسري كتاب الله، الذي تعهّد الله بحفظه، أن يتجاوبوا مع هذه الحقيقة، فيجنّبوا تفاسيرهم كلّ ما فيها من ريبة، ويطرحوا عنها كلّ ما شوّه جمالها وأنقص بهاءها.

والدعوة إلى تنقية كتب التفسير ليست دعوة إلى بدعة أو ضلالة، لأن تهذيب كتب التفسير بتنقيتها من الإسرائيليات، مَطلبٌ مهم من مطالب التعامل مع التراث، وذلك ؛" لأننا بحاجة إلى أن يكون التعامل مع القرآن، دونما هذا العازل الرديء، الذي تدخَّل بين القارئ وبين النص المقدس ... وهو العازل المتمثِّل في الإسرائيليات يُضاف إلى ذلك، أن التفاسير دخل فيها كثيرٌ من القصص التي كانت تُعدُّ لوناً من ألوان الوعظ، ولكن هذه القصص بعد مرور وقت من الزمن، تحوَّلت إلى حقائق ثابتة في نظر بعض الناس، مما يُؤكّد الجهد الواجب بذله في تحقيق هذه الكتابات" [٣].

---

١ – السابق(٩/ ٤٧٢)

٢ – الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير د/محمد محمد أبو شهبة ص: ١٨٢

٣ – مقارنة منهجية بين المفسرين الأندلسيين (القرطبي وأبي حيان) د. عودة عبد عودة عبد الله جامعة النجاح الوطنية – نابلس – فلسطين ص: ١٩نقلا عن ، «كيف نتعامل مع التراث»، قضايا إشكالية في الفكر الإسلامي المعاصر، لمحمد عاشور ١٩٩٧م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي : القاهرة . ص١١٨

الفصل الثالث

مظاهر الدخيل في تفسير بعض القصص القرآني عند أبي حيان

ذكر فيما سبق أن الإمام أبا حيان يعد من المفسرين المقلين في الاستشهاد بالإسرائيليات ، والاستعانة بها في التفسير، وذلك ما قاله الدكتور الذهبي في كتابه القيم " التفسير والمفسرون" والدكتور محمد أبو شهبة في كتابه النافع "الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير" وليس ذلك فحسب ، بل إن الإمام أبا حيان قد برأ ساحة كثير من الأنبياء وطهر ساحتهم من تلفيق اليهود بأقوال غير صحيحة عنهم ، ونذكر في هذا المقام بعضا من مظاهر الدخيل في تفسير بعض القصص القرآني وموقف الإمام أبي حيان منها:

المبحث الأول:

موقف أبي حيان من الدخيل في تفسير بعض قصص غير الأنبياء

المطلب الأول :

موقف أبي حيان من الدخيل في قصة بناء البيت الحرام والحجر الأسود

روى الطبري بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : لما أهبط الله آدم من الجنة قال : إني مهبط معك بيتا يطاف حوله كما يطاف حول عرشي ، ويصلى عنده ، كما يصلى عند عرشي ، فلما كان زمن الطوفان ، رفع ، فكانت الأنبياء يحجونه ، ولا يعلمون مكانه، حتى بوأه الله إبراهيم عليه السلام وأعلمه مكانه ، فبناه من خمسة أجبل : من حراء ، وثبير ، ولبنان ، وجبل الطور ، وجبل الخمر.

وأعجب من ذلك : ما رواه بسنده عن عطاء بن أبي رباح ، قال : لما أهبط الله آدم من الجنة : كان رجلاه في الأرض ، ورأسه في السماء، يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم ، يأنس إليهم فهابته الملائكة ، حتى شكت إلى الله في دعائها ، وفي صلاتها ، فوجه إلى مكة ، فكان موضع قدمه قرية وخطوه مفازة حتى انتهى إلى مكة وأنزل الله ياقوتة من ياقوت الجنة ، فكانت على موضع البيت الآن فلم يزل يطوف به ، حتى أنزل الله الطوفان فرفعت تلك الياقوتة ، حتى بعث الله إبراهيم ، فبناه"[1] إلى غير ذلك مما مرجعه إلى أخبار بني إسرائيل وخرافاتهم ، ولم يصح في ذلك خبر عن المعصوم صلى الله عليه وسلم.

ولما كان أبو حيان وقافا عند نصوص القرءان وصحاح السنة النبوية فإنه كان يزهد في هذه المرويات ويرى ضرورة تنزيه كتب التفسير عنها لأنها مما لا يضر الجهل بها ، ولا ينفع العلم بها ، وخاصة ما لا يدخل تحت

١ – ينظر: جامع البيان للطبري (١/ ٤٢٨) ،الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (١/ ١٢٥: ١٣٧)

مضمون النص القرءاني ، ويتضح هذا مما قاله في تفسير قوله تعالى " وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل "[١] ذكر المفسرون في ماهية هذا البيت وقدمه وحدوثه ، ومن أي شيء كان باباه ، وكم مرة حجه آدم ، ومن أي شيء بناه إبراهيم ، ومن ساعده على البناء ، قصصا كثيرة. واستطردوا من ذلك للكلام في البيت المعمور ، وفي طول آدم ، والصلع الذي عرض له ولولده ، وفي الحجر الأسود ، وطولوا في ذلك بأشياء لم يتضمنها القرآن ولا الحديث الصحيح. وبعضها يناقض بعضا ، وذلك على جري عاداتهم في نقل ما دب وما درج. ولا ينبغي أن يعتمد إلا على ما صح في كتاب اللّه وسنة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم" قال ابن عطية : والذي يصح في هذا كله أن الله أمر إبراهيم برفع قواعد البيت[٢]

قال أبو حيان : ونشاحه في قوله " أمر" إذ لم يأت النص بأن الله أمر بذلك "[٣]

الدراسة والتعليق

هذه المشاحة[٤] من أبي حيان لابن عطية عندما حمل النص ما لا يحتمله ظاهره ، تنبئ عن مدى حرص أبي حيان على الوقوف عند دلالة النص القرآني ، وعدم مجاوزته فيما قل أو كثر إلى ما لا يحتمله من معنى. إن الذي يحسب لمفسرنا في مثل هذه المواقف أنه لن يرضى بغير النص القرآني حكما حتى يتعلق الأمر بتعدد الروايات مع عدم وجود تفصيل في النص القرآني، ولا خبر صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ويكون أبو

---

١ – البقرة: ١٢٧

٢ – ينظر: المحرر الوجيز (١/ ٢١٠)

٣ – البحر المحيط(١/ ٦١٩، ٦٢٠)

٤– المشاحة : من شَوَّحَ على الأمر تَشْويحاً: أي أَنْكَرَ ينظر: القاموس المحيط (١/ ٢٢٧) تاج العروس للزبيدي(٦/ ٥١١)

حيان بهذا المنهج الذي ألفناه عنه وتردد كثيرا في تفسيره، قد رد جل الروايات السابقة وحكم عليها ضمنيا بأنها دخيلة على تفسير الآية الكريمة من حيث إن ليس لها ما يدعمها من المصادر الموثوقة.

وبهذا الرد القاطع قطع أبو حيان قول كل قائل ،وأخرس كل متكلم في تفسير القصص القرآني بغير علم مضربا صفحا عما أورده المفسرون من أكاذيب وافتراءات ينكرها العقل السليم، ولا يعتمد في تفسير هذا القصص إلا ما بينه القرآن و أثبتته السنة الصحيحة . فوجب على العلماء أن يحذروا الناس منها أنى وجدوها سواء في كتب التفسير أو اسفار التاريخ، أو صفحات كتب المواعظ والرقائق وغريها، حتى يتنبه لها القارئ ويكون على بينة من كيدها بالإسلام والمسلمين

ويرحم الله الإمام الحافظ ابن كثير ؛ فقد بين لنا منشأ معظم هذه الروايات التي هي من صنع بني إسرائيل ودس زنادقتهم ، فقد قال فيما رواه البيهقي في الدلائل من طرق عن عبد الله بن عمرو ابن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم : "بعض الله جبريل إلى آدم ، فأمره ، ببناء البيت ، فبناه آدم ، ثم أمره بالطواف به ، وقال له : أنت أول الناس ، وهنا أول بيت وضع للناس".

قال ابن كثير : إنه من مفردات ابن لهيعة ، وهو ضعيف ، والأشبه والله أعلم أن يكون موقوفا على عبد الله بن عمرو بن العاص ، ويكون من الزاملتين[1] اللتين أصابهما يوم اليرموك ، من كتب أهل الكتاب ، فكان يحدث بما فيهما[2]. وقال في البداية والنهاية : "ولم يجئ في خبر صحيح عن المعصوم : أن البيت كان مبنيا قبل الخليل عليه السلام ومن تمسك في

١ – الزاملة : البعير الذي يحمل عليه المتاع. ينظر: تاج العروس(١٨/ ١٠٢)

٢ – تفسير ابن كثير(١ / ٣١٦)

هذا بقوله : "مَكَانَ الْبَيْتِ" فليس بناهض ولا ظاهر ، لأن مراده : مكانه المقدر في علم الله تعالى ، المقرر في قدرته ، المعظم عند الأنبياء موضعه من لدن آدم إلى زمان إبراهيم عليه السلام [١] كما يعقب الألوسي على تلك الروايات بأنها "...أشياء لم يتضمنها القرآن العظيم ولا الحديث الصحيح ، وبعضها يناقض بعضا ، وذلك على عادتهم في نقل ما دب ودرج"[٢]كما علق الشيخ أبو شهبة على هذه الأخبار فقال:"أكثَرَ السيوطي في تفسيره : "الدر المنثور" عند تفسير قوله تعالى : {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}١ ، من النقل عن الأزرقي ، وأمثاله من المؤرخين والمفسرين الذين هم كحاطبي ليل ، ولا يميزون بين الغث والسمين ، والمقبول ، والمردود ، في بناء البيت ، ومن بناه قبل إبراهيم : أهم الملائكة أم آدم ؟ والحجر الأسود ومن أين جاء ؟ وما ورد في فضلهما ، وقد استغرق في هذا النقل الذي معظمه من الإسرائيليات التي أخذت عن أهل الكتاب بضع عشرة صحيفة، لا يزيد ما صح منها أو ثبت عن عُشْرِ هذا المقدار.ولو أنه اقتصر على الرواية الصحيحة التي رواها البخاري في صحيحه[٣] ، ورواها غيره من العلماء الأثبات ، لأراحنا ، وأراح نفسه ، ولما أفسد العقول ، وسمم النفوس بكل هذه الإسرائيليات ، التي نحن في غنية عنها بما تواتر من القرآن ، وثبت من السنة الصحيحة"[٤]

١ – البداية والنهاية(١/ ١٦٣ ، (٢ / ٢٩٩)
٢ – روح المعاني(١/ ٣٨٢)
٣ – صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب "واتخذ الله إبراهيم خليلا"(١١/ ١٣٨)
٤ – الإسرائيليات والموضوعات في التفسير ص:٢٢٠

المطلب الثاني : موقفه من الدخيل في ما جاء في اسم النمروذ

لقد نقل أبو حيان كلاما كثيرا يزيد على اثني عشر سطرا وهو من الدخيل في نسب النمروذ من دون تعقيب عليه بتضعيف أو تصحيح فقال عند تفسير قوله تعالى" ألم تر إلى الذي حاج ابراهيم في ربه ....الآية [1] :"والذي حاج إبراهيم: هو نمروذ بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح ، ملك زمانه وصاحب النار والبعوضة ، قاله مجاهد ، وقتادة ، والربيع ، والسدّي ، وابن إسحاق ، وزيد بن أسلم ، وغيرهم. وقال ابن جريج [2]: هو أول ملك في الأرض ، ورده ابن عطية. وقال قتادة : هو أول من تجبر ، وهو صاحب الصرح ببابل. قيل : إنه ملك الدنيا بأجمعها ونفذت فيها طينته ، وقال مجاهد : ملك الأرض مؤمنان : سليمان وذو القرنين ، وكافران : نمروذ وبخت نصر. وقيل : هو نمروذ بن يحاريب بن كوش بن كنعان بن سام بن نوح. وقيل : نمروذ بن فايخ بن عابر بن سايخ بن ارفخشده بن سام بن نوح. وحكى السهيلي أنه : النمروذ بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح ، وكان ملكا على السودان ، وكان ملكه الضحاك الذي يعرف بالازدهاق ، واسمه اندراوست ابن اندرشت ، وكان ملك الأقاليم كلها ، وهو الذي قتله أفريدون ابن أهبان ،وهو أول من صلب وقطع الأيدي والأرجل ، وملك نمروذ أربعمائة عام فيما ذكروا : وله ابن يسمى نمروذ الأصغر ملك عاما واحدا.[3]

الدراسة والتعليق : نتساءل أولا: ما الداعي لنقل أبي حيان كل هذا الكلام في نسب النمروذ والذي يزيد على اثني عشر سطرا ولا شك أنه من كلام

---

١ – البقرة: ٢٥٨

٢ – ينظر: معالم التنزيل (١/ ٢٤١) ، الجامع لأحكام القرآن (٣/ ١٨٤) ، تفسير ابن كثير(١/ ٤٦٢)

٣ – البحر المحيط(٢/ ٦٢٤، ٦٢٥)

اليهود ، فأظن أن التوفيق لم يحالف أبا حيان في هذا الموضع؟ كما نتساءل ثانيا: ما الفائدة التي تعود علينا من نقل ذلك وإثباته في التفسير ؟ مع أنه كان الأولى به أن يستمر على منهجه في إقلاله من الإسرائيليات ،لا سيما في القصص ؛إذ إنه كان الباب الواسع الذي دخل منه اليهود والنصارى والمستشرقين للطعن في الإسلام على مر التاريخ ،فلست مع أبي حيان فيما نقل ولا فيما روى في ذلك.

والحال أن إيراد العلامة أبي حيان لمثل هذه الأخبار الواهية من دون أن يعقب عليها يؤكد أنه يندر خلو كتاب من كتب التفسير القديمة والحديثة من مثل ذلك ، والحق الذي لا مراء فيه أن وجود الإسرائيليات في التفسير ظاهرة عامة ومشتركة لدى جمرة المفسرين بمختلف طبقاتهم ومناهجهم ، ومن المتعذر حقيقة أن نعثر على تفسير قد برئت ساحته تماما من هذا الوباء المنتشر .

المطلب الثالث: موقفه من الدخيل في قصة إرم ذات العماد

ومن الدخيل في تفسير القصص القرآني –ولم يعقب عليها عالمنا أبو حيان بنقد أو تمحيص– ما ذكره في تفسير قول تعالى : "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ، إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ"[١] حيث قال: "وذكر المفسرون أن ذات العماد مدينة ابتناها شداد بن عاد لما سمع بذكر الجنة على أوصاف بعيد أو مستحيل عادة أن يبنى في الأرض مثلها ، وأن اللّه تعالى بعث عليها وعلى أهله صيحة قبل أن يدخلها هلكوا جميعا"[٢]

وبنحو ذلك ذكر الزمخشري في تفسيره حيث قال:" وعن عبد اللّه ابن قلابة : أنه خرج في طلب إبل له ، فوقع عليها ، فحمل ما قدر عليه

١ – الفجر:٦: ٨

٢ – البحر المحيط (١٠/ ٤٧٢)

مما ثم ، وبلغ خبره معاوية فاستحضره ، فقص عليه ، فبعث إلى كعب فسأله فقال : هي إرم ذات العماد ، وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال ، يخرج في طلب إبل له ، ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال : هذا واللّه ذلك الرجل لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها مثل عاد فِي الْبِلادِ عظم أجرام وقوّة ، كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع ، وكان يأتى الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحي فيهلكهم ، أو لم يخلق مثل مدينة شدّاد في جميع بلاد الدنيا"[١]

الدراسة والتعليق: هذه القصة على كل حال موضوعة، كما نبه إلى ذلك الحفاظ، وآثار الوضع عليه لائحة ،وكل ذلك من خرافات بني إسرائيل، ومن وضع زنادقتهم، ثم رواها مُسلمَة أهل الكتاب فيما رَوَوا، وحملها عنهم بعض الصحابة والتابعين، وألصقت بتفسير القرآن الكريم. ولعن الله من نسب مثل هذا الباطل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا نشك أن هذا من عمل زنادقة اليهود والفرس وأمثالهم ، الذين عجزوا أن يقاوموا سلطان الإسلام ، فسلكوا في محاربته مسلك الدس ، والاختلاق ، بنسبة أمثال هذه الخرافات إلى المعصوم صلى الله عليه وسلم ، يقول الدكتور محمد أبو شهبة :" وأنا أعجب لمسلم يقبل أمثال هذه المرويات التي تزري بالإسلام ، وتنفر منه، ولا سيما في هذا العصر الذي تقدمت فيه العلوم ، والمعارف ، وأصبح ذكر مثل هذا يثير السخرية ، والاستنكار والاستهزاء" .[٢]

من أجل ذلك نقول: لسنا مكلفين بالنظر إلى هذه الأحجام الطوال ما دام أحدها لا هذا الرأي ولا ذاك لم يثبت ولم يرد عن طريق صحيح، وإنما نحن يجب أن نعتقد بما صرَّ حت به الآيات، ونؤمن بما في القرآن والسنة

١ – الكشاف للزمخشري(٤/ ٧٤٨)

٢ – الإسرائيليات والموضوعات في التفسير ص:٣٦٠

الصحيحة، فالآيات بينت أنهم قوم أشداء وأقوياء، أما تحديد أطوالهم وأعمارهم وكل هذا، هذا من الكلام الذي لم يثبت لنا به نص ٌ أو دليل صحيح.

قال ابن كثير في تفسيره : ومن زعم أن المراد بقوله : "إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ" : مدينة إما دمشق ، أو اسكندرية ، أو غيرها ، ففيه نظر ، فإنه كيف يلتئم الكلام على هذا : "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ، إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ" إن جعل بدلا أو عطف بيان ؟ فإنه لا يتسق الكلام حينئذ ، ثم المراد إنما هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد ، وما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يرد ، لا المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم ، وإنما نبهت على ذلك ؛ لئلا يُغتَرَّ بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عن هذه الآية ، من ذكر مدينة يقال لها : إرم ذات العماد ، مبنية بلبن الذهب والفضة ، وأن حصباءها لآلئ وجواهر ، وترابها بنادق المسك... فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين ، من وضع بعض زنادقتهم ؛ ليختبروا بذلك القول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك ، وقال فيما روي عن ابن قلابة : فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها ، ولو صح إلى ذلك الأعرابي فقد يكون اختلق ذلك ، أو أصابه نوع من الهوس ، والخيال ، فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج ، وهذا ما يقطع بعدم صحته"[١]

ولله در الإمام الشوكاني حيث عقب على تلك الروايات الدخيلة فقال:" وهذا كذب على كذب ، وافتراء على افتراء ، وقد أصيب الإسلام ، وأهله بداهية دهياء ، وفاقرة عظمى ورزية كبرى من أمثال هؤلاء الكذابين الدجالين الذين يجترئون على الكذب ، تارة على بني إسرائيل ، وتارة على الأنبياء ، وتارة على الصالحين ، وتارة على ربّ العالمين ، وتضاعف هذا الشرّ ،

١ – تفسير ابن كثير (٨/ ١٩٦)

وزاد كثرة بتصدّر جماعة من الذين لا علم لهم بصحيح الرواية من ضعيفها من موضوعها للتصنيف ، والتفسير للكتاب العزيز ، فأدخلوا هذه الخرافات المختلفة ، والأقاصيص المنحولة ، والأساطير المفتعلة في تفسير كتاب الله سبحانه ، فحرّفوا ، وغيروا ، وبدّلوا"[١]

والحقيقة أن "مثل هذه الأمور إنما حرب على الإسلام وأهله ، ومحاولة تخريبه من الداخل وتشويهه كدين في عصر تقدمت فيه العلوم بدرجة كبيرة ، وذكر مثل هذا القصص يثير التهكم والسخرية ، واعتقاد أن الإسلام دين خرافات واباطيل لا يصدقها العقل المستنير ، وهذا هو هدف الحاقدين على الإسلام وأهله"[٢]

والصحيح في تفسير هذه الآيات كما ذكر شيخنا الجليل الدكتور أبو شهبة أن المراد بقوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ" هي قبيلة عاد المشهورة التي كانت تسكن الأحقاف في جنوب الجزيرة شمالي حضر موت، وهي عاد الأولى التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في سورة " النجم " قال سبحانه : "وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى"[٣]، ويقال لمن بعدهم: عاد الآخرة، وهم ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح، قاله ابن إسحاق وغيره، وهم الذين بعث فيهم رسول الله هود –عليه السلام– بعد ذلك، فكذَّبوه وخالفوه فأنجاه الله من بين أظهرهم، ومن آمن معه منهم، وأهلكهم كما نطق القرآن الكريم في آيات عديدة، أهلكهم الله بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسومًا فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية، فهل ترى لهم من باقية. وقد ذكر الله قصتهم في

---

١ – فتح القدير (٧/ ٤٨٧)

٢ – الدخيل في التفسير د/ محمد يحيى عبد المنعم ص: ١٦٣، مذكرة تدريس بكلية أصول الدين بالمنصورة بدون طبعة

٣ – النجم: ٥٠

القرآن في غير ما موضع؛ ليعتبر بمصرعهم المؤمنون ،فقوله تعالى : "إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ" : بدل من عاد أو عطف بيان زيادة تعريف بهم ، وقوله تعالى : "ذَاتِ الْعِمَادِ" لأنهم كانوا في زمانهم أشد الناس خلقة ، وأعظمهم أجساما ، وأقواهم بطشا ، وقيل : ذات الأبنية التي بنوها ، والدور ، والمصانع التي شادوها ، وقيل : لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التي ترفع بالأعمدة الغلاظ الشداد ، والأول أصح وأولى ، فقد ذكرهم نبيهم هود بهذه النعمة ، وأرشدهم إلى أن يستعملوها في طاعة الله تبارك وتعالى الذي خلقهم ومنحهم هذه القوة فقال : "وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"(١).

وقال تعالى : "فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا "نَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً"(٢). وقوله هنا "الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلاد" أي القبيلة المعروفة المشهورة التي لم يخلق مثلها في بلادهم وفي زمانهم ؛ لقوتهم ، وشدتهم وعظم تركيبهم.

ومهما يكن من تفسير ذات العماد : فالمراد القبيلة ، وليس المراد مدينة ، فالحديث في السورة إنما هو عمن مضى الأقوام الذين مكن الله لهم في الأرض ، ولما لم يشكروا نعم الله عليهم ، ويؤمنوا به وبرسله ، بطش بهم ، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، ففيه تخويف لكفار مكة ، الذين هم دون هؤلاء في كل شيء وتحذيرهم أن يصيبهم مثل ما أصاب هؤلاء (٣) .والله تعالى أعلم بمراده

١ – الأعراف :٦٩

٢ – فصلت:١٥

٣ – الإسرائيليات والموضوعات في التفسير ص:٣٦٠

المطلب الرابع: موقفه من الدخيل في تفسير قصة هاروت وماروت

ومن الدخيل في تفسير القصص القرآني ما أورده في قصة (هاروت وماروت)إذ نجده عند تفسير قوله تعالى" **وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت...**" [١] يقول في البحر المحيط: "وقد ذكر المفسرون في قراءة من قرأ : الملكين بفتح اللام ، قصصا كثيرا تتضمن : أن الملائكة تعجبت من بني آدم في مخالفتهم ما أمر اللّه به ، وأن اللّه تعالى بكتهم ، بأن قال لهم : اختاروا ملكين للهبوط إلى الأرض ، فاختاروا هاروت وماروت ، وركب فيهما الشهوة ، فحكما بين الناس ، وافتتنا بامرأة ، تسمى بالعربية الزهرة ، فطلباها وامتنعت ، إلا أن يعبدا صنما ، ويشربا الخمر ويقتلا. فخافا على أمرهما ، فعلماها ما تصعد به إلى السماء وما تنزل به ، فصعدت ونسيت ما تنزل به ، فمسخت. وأنهما تشفعا بإدريس إلى اللّه تعالى ، فخيرهما في عذاب الدنيا والآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا ، فهما ببابل [٢] يعذبان.[٣] وذكروا في كيفية عذابهما اختلافا.[٤]

ثم يعقب إمامنا الجليل ابو حيان على تلك الرواية الإسرائيلية فيقول:" وهذا كله لا يصح منه شيء. والملائكة معصومون "**لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ ، وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ**"[٥] "**لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ**"[٦] ولا يصح عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم أنه كان يلعن الزهرة ولا ابن عمر" [٧]

---

١ – البقرة: ١٠٢

٢ – بلد من بلاد العراق

٣ – هذه الرواية أخرجها الطبري في تفسيره (١/ ٣٦٦) والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٠١)

٤ – البحر المحيط(١/ ٥٢٨)

٥ –التحريم:٦

٦ – الانبياء : ١٩، ٢٠

٧ – البحر المحيط(١/ ٥٢٩)

الدراسة والتعليق :أقول: تأكيدا لما ذهب إليه العلامة أبو حيان من إبطال هذه الرواية ونقد تلك القصة بإيجاز بليغ نجد أن كثيرا من العلماء قد انبروا لإبطال هذه القصة أيضا معقبين عليها بالدحض والتفنيد والنقد ، منهم العلامة الدكتور أبوشهبة الذي حكم بأن الحديث السابق موضوع مكذوب على النبي صلى الله عليه وسلم فقال:" ولا ينبغي أن يشك مسلم عاقل فضلا عن طالب حديث في أن هذا موضوع على النبي صلى الله عليه وسلم مهما بلغت أسانيده من الثبوت فما بالك إذا كانت أسانيدها واهية، ساقطة ، ولا تخلو من وضاع ، أو ضعيف ، أو مجهول ؟!! ونص على وضعه أئمة الحديث"[١] وقد حكم بوضع هذه القصة الإمام أبو الفرج ابن الجوزي [٢] وقال القاضي عياض في "الشفاء" :وما ذكره أهل الأخبار ، ونقله المفسرون في قصة هاروت وماروت : لم يرد فيه شيء لا سقيم ، ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيئًا يؤخذ بالقياس[٣]

ومن العجيب حقا أن يتداول المفسرون مثل هذه القصة الإسرائيلية رغم القدح الفاحش الذي تضمنته في عصمة الملائكة ، وقل من أثبتها زيفها من المفسرين ، حتى لقد عجبت من ابن عطية المفسر الذي ذكرها ثم علق عليها بقوله:" وهذا القصص يزيد في بعض الروايات وينقص في بعض ، ولا يقطع منه بشيء ، فلذلك اختصرته "[٤]

ولماذا ذكره إذا طالما ليس مقطوعا به، وكيف فات على كثير من المفسرين ما تثيره تلك الروايات الإسرائيلية من فتن وضلالات ؟ أما

١ – الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير د/ محمد أبو شهبة ص: ٢١٢

٢ – ينظر: اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة لابن الجوزي (١/ ٨٢)

٣ – الشفا في تعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (٢/ ٨٥٥)دار التراث

٤ – المحرر الوجيز(١/ ١٢٧)

الحافظ ابن كثير فقد رصد تلك المرويات رصد الإمام الخبير بالآثار اليقظ للدسائس الإسرائيلية ، فنجده يعقب عليها في تفسيره قائلا:" وقد روى في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين، كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة وأبي العالية والزهري والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وغيرهم، وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال.[١]

وأما ما ليس مرفوعا : فبين أن منشأة روايات إسرائيلية عن كعب وغيره ، ألصقها زنادقة أهل الكتاب بالإسلام ، قال رحمه الله في تفسيره بعد أن تكلم على الأحاديث الواردة في هاروت وماروت ، وأن روايات الرفع غريبة جدا ، وأقرب ما يكون في ذلك أنه من رواية عبد الله بن عمر ، عن كعب الأحبار ، كما قال عبد الرزاق في تفسيره عن الثوري ، عن موسى بن عقبة ، عن سالم بن عبد الله بن ابن عمر ، عن كعب ، ورفع مثل هذه الإسرائيليات إلى النبي كذب واختلاق ألصقه زنادقة أهل الكتاب ، زورا وبهتانا"[٢] وقال أيضا في البداية والنهاية :"وأما ما يذكره كثير من المفسرين في قصة هاروت وماروت من أن الزهرة كانت امرأة فراوداها على نفسها فأبت إلا أن يعلماها الاسم الاعظم فعلماها فقالته فرفعت كوكبا إلى السماء فهذا أظنه من وضع الاسرائيليين وإن كان قد أخرجه كعب

١ – تفسير ابن كثير(١/ ٣٦٠)
٢ – المرجع السابق (١/ ٣٦٠)

الاحبار وتلقاه عنه طائفة من السلف فذكروه على سبيل الحكاية والتحديث عن بني إسرائيل"[١]

وهذا الذي قاله العلامة ابن كثير هو : الحق الذي لا ينبغي أن يقال غيره. وليس أدل على هذا من أن ابن جرير رواها بالسند الذي ذكره ابن كثير ، وبغيره عن ابن عمر ، عن كعب الأحبار ولكن بعض الرواة غلطا ، أو سوء نية رفعها ونسبها إلى النبي صلى الله عليه وسلم [٢]

كما ردها المحققون من المفسرين الذين مهروا في معرفة أصول الدين ، وأبت عقولهم أن تقبل هذه الخرافات : كالإمام الرازي ، وأبي حيان وغيرهم من المفسرين

ولله در الإمام الرازي ؛إذ علق على هذه الرواية الإسرائيلية بقوله:" واعلم أن هذه الرواية فاسدة مردودة وغير مقبولة ؛لأنه ليس في كتاب اللّه ما يدل على ذلك ، بل فيه ما يبطلها من وجوه ، الأول : ما تقدم من الدلائل الدالة على عصمة الملائكة عن كل المعاصي ، وثانيها : أن قولهم إنهما خيرا بين عذاب الدنيا وبين عذاب الآخرة فاسد ، بل كان الأولى أن يخيرا بين التوبة والعذاب لأن اللّه تعالى خير بينهما من أشرك به طول عمره ، فكيف يبخل عليهما بذلك؟ وثالثها : أن من أعجب الأمور قولهم : إنهما يعلمان السحر في حال كونهما معذبين ويدعوان إليه وهما معاقبان على المعصية ورابعها: أن المرأة الفاجرة كيف يعقل أنها لما فجرت صعدت إلى السماء وجعلها اللّه تعالى كوكباً مضيئاً وعظم قدره ،فهذه القصة قصة ركيكة يشهد كل عقل سليم بنهاية ركاكتها"[٣]

---

١ – البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٣٩) دار إحياء التراث العربي الطبعة الاولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

٢ – جامع البيان(١/ ٣٦٣)

٣ – مفاتيح الغيب (٢/ ٣٩٣)

كما تصدى العلامة الخازن للرد على هذه الخرافات وتلك الترهات فقال: "أجمع المسلمون على أن الملائكة معصومون فضلا ، واتفق أئمة المسلمين على أن حكم الرسل من الملائكة حكم النبيين ، سواء في العصمة في باب البلاغ عن اللّه عز وجل وفي كل شيء ثبتت فيه عصمة الأنبياء فكذلك الملائكة وأنهم مع الأنبياء في التبليغ إليهم ، كالأنبياء مع أممهم ، وأجاب من ذهب إلى عصمة جميع الملائكة عن قصة هاروت وماروت ، بأن ما نقله المفسرون وأهل الأخبار في ذلك لم يصح عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم منه شيء وهذه الأخبار إنما أخذت من اليهود ، وقد علم افتراؤهم على الملائكة والأنبياء وقد ذكر اللّه عز وجل في هذه الآيات ، افتراء اليهود على سليمان أولا ، ثم عطف على ذلك قصة هاروت وماروت ثانيا ، قالوا : ومعنى الآية وما كفر سليمان يعني بالسحر الذي افتعله عليه الشياطين، واتبعتهم في ذلك اليهود فأخبر عن افترائهم وكذبهم، وذكروا أيضا في الجواب عن هذه القصة وأنها باطلة وجوها : الأول : إن في القصة أن اللّه تعالى قال : للملائكة لو ابتليتم بما ابتليت به بنو آدم لعصيتموني ، قالوا : سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك وفيه رد على اللّه تعالى وذلك كفر وقد ثبت أنهم كانوا معصومين قبل ذلك فلا يقع هذا منهم. الوجه الثاني : أنهما خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، وذلك فاسد لأن اللّه تعالى لا يخير من أشرك ، وإن كان قد صحت توبتهما فلا عقوبة عليهما.

الوجه الثالث أن المرأة لما فجرت فكيف يعقل أنها صعدت إلى السماء وصارت كوكبا وعظم اللّه قدرها بحيث أقسم بها في قوله : **فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوارِ الْكُنَّسِ**"(١) فبان بهذه الوجوه وضع هذه القصة ، واللّه

١ – التكوير : ١٥، ١٦

أعلم بصحة ذلك وسقمه. والأولى تنزيه الملائكة عن كل ما لا يليق بمنصبهم"[١]

وجاء الإمام القرطبي بوجه قوي يقوض هذه القصة ؛حيث ذكر أن خلق النجوم مقدم على خلق آدم فيقول:" ومما يدل على عدم صحته أن الله تعالى خلق النجوم وهذه الكواكب حين خلق السماء، ففي الخبر: (أن السماء لما خلقت خلق فيها سبعة دوارة زحل والمشتري وبهرام وعطارد والزهرة والشمس والقمر". وهذا معنى قول الله تعالى:" وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ «٥»". فثبت بهذا أن الزهرة وسهيلا قد كانا قبل خلق آدم، ثم إن قول الملائكة:" ما كانَ يَنْبَغِي لَنا" لا تقدر على فتنتنا، وهذا كفر نعوذ بالله منه ومن نسبته إلى الملائكة الكرام صلوات الله عليهم أجمعين، وقد نزهناهم وهم المنزهون عن كل ما ذكره ونقله المفسرون"[٢]

ولم يقف العلماء المحققون عند حد بطلان القصة سندا ومتنا ، بل جرموا من يعتقد بها وحكموا بكفره ، حيث نص الشهاب العراقي على أن "من اعتقد في هاروت وماروت أنهما ملكان يعذبان على خطيئتهما : فهو كافر بالله العظيم" [٣]

وبعد، فقد ظهر فساد هذه الروايات وأنها موضوعة مفتراه ، وأنها مصادمة ومناقضة لصحيح النقل والعقل ،ولا تنسجم مع القصص القرآني الحق الذي هو موعظة وذكرى للمؤمنين ، ولو أن المفسرين الذين أكثروا من ذكر هذه الروايات وصدقوها اقتصروا على وضع العبرة والعظة من آيات هذه القصة لكان هذا أحكم وأسلم . ومن الخير للمفسر أن ينأى كل النأي عن هذه الأخبار الإسرائيلية ، وأن يضرب صفحا عن نقلها ، وأن يمسك

١ – لباب التأول للخازن(١/ ٦٦)
٢ – الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٥٢)
٣ – روح المعاني (١ / ٣٤١)

عما لا طائل من ورائه مما يعد صارفا عن إدراك الغاية المرجوة من القصص القرآني ، وشاغلا عن التدبر في حكمه وأهدافه واغراضه ومواعظه . لذا فإن من الواجب أن نحذر من روايتها وإشاعتها ، وأن نكشف زيفها وبطلانها ومعارضتها لعقيدتنا ، وليتنا بذلك نحقق بعض ما تمناه الإمام الألوسي حيث يقول:" يا ليت كتب الإسلام لم تشتمل على هذه الخرافات التي لا يصدقها العاقل ولو كانت أضغاث أحلام"[١]

بقي لنا في هذا المقام أن نتناول التفسير الصحيح لقصة هاروت وماروت حتى نستكمل أبعاد موقف أبي حيان ، ولوضوح الرؤية لما استند إليه وبنى موقفه عليه .

التفسير الصحيح لهذه القصة القرآنية

الأظهر على ما نقل في سبب نزول هذه الآية على ما بينه أبو حيان "من أن الشياطين كتبت السحر واختلقته ونسبته إلى سليمان وقيل : الذي تلته هو الكذب الذي تضيفه إلى ما تسترق من أخبار السماء ، وأضافوا ذلك إلى سليمان تفخيما لشأن ما يتلونه ، لأن الذي كان معه : من المعجزات ، وإظهار الخوارق ، وتسخير الجن والإنس ، وتقريب المتباعدات ، وتأليف الخواطر ، وتكليم العجماوات ، كان أمرا عظيما. والساحر يدّعي أشياء من هذا النوع : من تسخير الجن ، وبلوغ الآمال ، والتأثير في الخواطر ، بل ويدّعي قلب الأعيان أو لأنهم كانوا يزعمون أن ملك سليمان إنما حصل بالسحر. وقد ذكر المفسرون في كيفيات ما رتبوه من هذا الذي تلوه قصصا كثيرة ، اللّه أعلم به ، ولم تتعرض الآية الكريمة ، ولا الحديث المسند الصحيح لشيء منه ، فلذلك لم نذكره.

وَما كَفَرَ سُلَيْمانُ : تنزيه لسليمان عن الكفر ، أي ليس ما اختلقته الجن من نسبة ما تدعيه إلى سليمان تعاطاه سليمان ، لأنه كفر ، ومن نبأه اللّه تعالى

---

١ – روح المعاني(١/ ٣٤٢)

منزه عن المعاصي الكبائر والصغائر ، فضلا عن الكفر. وفي ذلك دليل على صحة نفي الشيء عمن لا يمكن أن يقع منه ، لأنّ النبي لا يمكن أن يقع منه الكفر ، ولا يدل هذا على أن ما نسبوه إلى سليمان من السحر يكون كفرا ، إذ يحتمل أنهم نسبوا إليه الكفر مع السحر. وروي أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم لما ذكر سليمان في الأنبياء قال بعض اليهود : انظروا إلى محمد يذكر سليمان في الأنبياء ، وما كان إلا ساحرا. ولم يتقدّم في الآيات أن أحدا نسب سليمان إلى الكفر ، ولكنها آية نزلت في السبب المتقدّم أن اليهود نسبته إلى السحر والعمل به.

وقيل سبب إنزال الملكين : أن السحرة كثروا في ذلك الزمان ، وادعوا النبوّة ، وتحدّوا الناس بالسحر. فجاءا ليعلما الناس السحر ، فيتمكنوا من معارضة السحر ، فيتبين كذبهم في دعواهم النبوّة ، أو لأن المعجزة والسحر ماهيتان متباينتان ، ويعرض بينهما الالتباس. فجاء الإيضاح الماهيتين ، أو لأن السحر الذي يوقع التفرقة بين أعداء اللّه وأوليائه كان مباحا ، أو مندوبا ، فبعثا لذلك ، ثم استعمله القوم في التفرقة بين أولياء اللّه"(١)

هذا هو التفسير الصحيح للآية ، لا ما زعمه المبطلون ،وبذلك : يحصل التناسق بين الآيات وتكون الآية متآخية متعانقة ، ولا أدري ما الصلة بين ما رووه من إسرائيليات ، وبين قوله :"وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ... الآية. والخلاصة: على القارئ أن يحذر من هذه الإسرائيليات ؛ سواء وجدها في كتاب تفسير ، أو حديث أو تاريخ أو مواعظ ، أو أدب أو غير ذلك .

١ – البحر المحيط (١/ ٥٢٤)

المبحث الثاني:

موقف أبي حيان من الدخيل في تفسير بعض قصص الأنبياء عليهم السلام

المطلب الأول: موقفه من الدخيل في تفسير قصة داود عليه السلام

ومن الدخيل في تفسير القصص القرآني –والذي يخل بمقام الأنبياء ، وينافي عصمتهم، وتقدح في نبوتهم – ما ذكره بعض المفسرين في هذا الموضع عند تفسير قوله تعالى :"وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ"(١)

فمثلا روي عن الحسن رضي الله عنه "أن داود عليه السلام جزأ الدهر أربعة أجزاء ، يوما لنسائه ويوما للعبادة ويوما للقضاء بين بني إسرائيل ويوما لبني إسرائيل ، ذكروا فقالوا : هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فأضمر داود عليه السلام في نفسه أنه سيطيق ذلك فلما كان في يوم عبادته غلق أبوابه وأمر أن لا يدخل عليه أحد وأكب على التوراة ، فبينما هو يقرؤها إذ حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن قد وقعت بين يديه فأهوى إليها ليأخذها فطارت فوقعت غير بعيد من غير مرتبتها فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل فأعجبه حسنها وخلقها فلما رأت ظله في الأرض جللت نفسها بشعرها فزاد ذلك أيضا بها اعجابا وكان قد

١ – سورة ص: ٢١: ٢٥

بعث زوجها على بعض بعوثه فكتب إليه أن يسير إلى مكان كذا وكذا ، مكان إذا سار إليه قتل ولم يرجع ففعل فأصيب فخطبها داود عليه السلام ، فتزوجها ، فبينما هو في المحراب إذ تسور الملكان عليه وكان الخصمان إنما يأتونه من باب المحراب ففزع منهم حين تسوروا المحراب فقالوا : "لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط" أي لا تمل ،

"واهدنا إلى سواء الصراط" أي أعدله وخيره "إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة" يعني تسعا وتسعين امرأة لداود وللرجل نعجة واحدة فقال "أكفلنيها وعزني في الخطاب" أي قهرني وظلمني قال "لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ....إلى قوله "**وَقَلِيلٌ مَا هُمْ** " ونسي نفسه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فنظر الملكان أحدهما إلى الآخر حين قال ذلك، فتبسم أحدهما إلى الآخر، فرآه داود وظن أنه فتن" **فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ**" أربعين ليلة، حتى نبتت الخُضرة من دموع عينيه، ثم شدّد الله له ملكه "[١]

فهذه الرواية وغيرها بهتان عظيم على مقام النبوة ، وكان الأجدر بالأجلة من المفسرين ألا يذكروه في كتبهم وأن ينزهوا تفاسيرهم عن مثل هذه الأكاذيب والمفتريات ، فضلا عن أنها غير ثابتة نقلا فهي أيضا لا يصدقها عقل وهي نسخ خيال ووهم متكلف ، ولا يصح أن نفسر استغفار داود وتوبته بهذا القصص المفترى ، بل اللائق في هذا المقام أن نعرض لموقف العلامة أبي حيان من هذا الدخيل حيث نجده يقول في تفسير هذه الآيات الكريمة:

١ – الدر المنثور (٥/ ٣٠٠، ٣٠١) وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر ، وينظر معالم التنزيل(٤/ ٥٢)

" لما أثنى تعالى على داود عليه السلام بما أثنى ، ذكر قصته هذه ، ليعلم أن مثل قصته لا يقدح في الثناء عليه والتعظيم لقدره ، وإن تضمنت استغفاره ربه ، وليس في الاستغفار ما يشعر بارتكاب أمر يستغفر منه ، وما زال الاستغفار شعار الأنبياء المشهود لهم بالعصمة. ..ثم قال :" وذكر المفسرون في هذه القصة أشياء لا تناسب مناصب الأنبياء ، أضربنا عن ذكرها صفحا"[١]

كما نجده يرد ببراعة على من يرى أن الخصمين كانا ملكان ، وأن القصة رمزية غير حقيقية فيقول :" والذي أذهب إليه ما دل عليه ظاهر الآية من أن المتسورين المحراب كانوا من الإنس ، دخلوا عليه من غير المدخل ، وفي غير وقت جلوسه للحكم ، وأنه فزع منهم ظانا أنهم يغتالونه ، إذ كان منفردا في محرابه لعبادة ربه. فلما اتضح له أنهم جاءوا في حكومة ، وبرز منهم اثنان للتحاكم ، كما قص اللّه تعالى ، وأن داود عليه السلام ظن دخولهم عليه في ذلك الوقت ومن تلك الجهة إنقاذ من اللّه له أن يغتالوه ، فلم يقع ما كان ظنه ، فاستغفر من ذلك الظن ، حيث أخلف ولم يكن يقع مظنونه ، وخر ساجدا ، أو رجع إلى اللّه تعالى فغفر له ذلك الظن ولذلك أشار بقوله : "**فَغَفَرْنا لَهُ ذلِكَ**" ، ولم يتقدّم سوى قوله : "**وَظَنَّ داوُدُ أَنَّما فَتَنَّاهُ**" ، ويعلم قطعا أن الأنبياء ، عليهم السلام ، معصومون من الخطايا ، لا يمكن وقوعهم في شيء منها ضرورة أن لو جوزنا عليهم شيئا من ذلك ، بطلت الشرائع ، ولم نثق بشيء مما يذكرون أنه أوحى اللّه به إليهم ، فما حكى اللّه تعالى في كتابه يمر على ما أراده تعالى ، وما حكى القصاص مما فيه غض عن منصب النبوة طرحناه"[٢]

---

١ – البحر المحيط (٩/ ١٤٦)

٢ – البحر المحيط(٩/ ١٥١)

الدراسة والتعليق: أقول: إن ما ذكره إمامنا أبو حيان هو المعنى الظاهر من الآيات ، وهو الذى تطمئن إليه القلب ، لأنه يتناسب مع منزلة داود – عليه السلام – ، ومع ثناء الله – تعالى – عليه وتكريمه له .

"فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله عز وجل فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضا"[١] وهذا الذي صدر من داود عليه السلام، لم يذكره اللّه لعدم الحاجة إلى ذكره، فالتعرض له من باب التكلف، وإنما الفائدة ما قصه اللّه علينا من لطفه به وتوبته وإنابته، وأنه ارتفع محله، فكان بعد التوبة أحسن منه قبلها.[٢]

يقول ابن حزم رحمه الله تعالى: " ما حكاه اللّه تعالى عن داود قول صادق صحيح لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولّدها اليهود، وإنما كان ذلك الخصم قوما من بنى آدم بلا شك مختصمين في نعاج من الغنم، ومن قال إنهم كانوا ملائكة معرضين بأمر النساء فقد كذب على اللّه – تعالى – ما لم يقل ، وزاد في القرآن ما ليس فيه ؛ لأن اللّه – تعالى – يقول : وَهَلْ أَتاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ فقال هو : لم يكونوا خصمين، ولا بغى بعضهم على بعض، ولا كان لأحدهما تسع وتسعون نعجة، ولا كان للآخر نعجة واحدة ولا قال له" **أَكْفِلْنِيها**" ،وأما استغفاره وخروره ساجدا ومغفرة الله تعالى له فالانبياء عليهم السلام أولى الناس بهذه الأفعال الكريمة والاستغفار فعل خير لا ينكر من ملك ولا من نبي ولا من مذنب ولا من غير مذنب فالنبي يستغفر الله لمذنبي أهل الأرض والملائكة كما قال الله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم

١ – تفسير ابن كثير (٧/ ٦٠)

٢ – تفسير السعدي ص: ٧١١

وأما قوله تعالى عن داود عليه السلام وظن داود إنما فتناه وقوله تعالى فغفرنا له ذلك فقد ظن داود عليه السلام أن يكون ما أتاه الله عز و جل من سعة الملك العظيم فتنة فقد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يدعو في أن يثبت الله قلبه على دينه فاستغفر الله تعالى من هذا الظن فغفر الله تعالى له هذا الظن إذ لم يكن ما أتاه الله تعالى من ذلك فتنة"[١]

وعلى ذلك أرى أن الأحوط والأفضل في هذا المقام أن يرد علم ذلك إلى اللطيف الخبير ، فإنه تعالى لم يذكر تفسير الفتنة لعدم الحاجة إلى ذكرها ، فالتعرض لها فيه شيء من التكلف ، خاصة وأنه لم يرد في تفسيرها حديث صحيح يعتمد عليه ، وأما عن استغفار داود ؛ فلأن الأنبياء مكن شدة مراقبتهم لله تعالى ومعرفتهم بمقامه العظيم لذلك نراهم يبالغون في إحساسهم بالتقصير في جنب الله تعالى.

فلا يصح أن يفسر استغفار داود وتوبته بهذا القصص المختلق ، وإنما اللائق في هذا المقام ما نقلناه عن العلامة أبو حيان في تفسير هذه الآيات الكريمة، والله أعلى وأعلم وأعز وأحكم .

وبهذا التفسير الحكيم يتبين لنا أن قصة الخصمين اللذين تسورا على داود المحراب ، قصة حقيقية ، وأن الخصومة كانت بين اثنين من الناس في شأن غنم لهما ، وأنهما حين دخلا عليه بتلك الطريقة الغريبة التي حكاها القرآن الكريم ، فزع منها داود – عليه السلام – وظن أنهما يريدان الاعتداء عليه ، وأن اللّه تعالى يريد امتحانه وثباته أمام أمثال هذه الأحداث. فلما تبين لداود بعد ذلك أن الخصمين لا يريدان الاعتداء عليه ، وإنما يريدان التحاكم إليه في مسألة معينة ، استغفر ربه من ذلك الظن السابق – أي ظن الاعتداء عليه فغفر اللّه – تعالى – له . والذي يتدبر

١ – الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم(٤/ ١٥)

الآيات الكريمة يراها واضحة وضوحا جليا في تأييد هذا المعنى، وما نقلناه عن الإمام أبى حيان ، هو المعنى الظاهر من الآيات ، وهو الذي تطمئن إليه النفس ، لأنه يتناسب مع مكانة داود – عليه السلام – ، ومع ثناء اللّه تعالى عليه وتكريمه له.

كما لم يكتف إمامنا الجليل بذلك ، بل نراه يخالف جمهور المفسرين الذين ذهبوا إلى أن المراد من النعجة المرأة ،وينقل أقوال العلماء في تأويل قوله "أكفلنيها" لم ننقلها للإطالة ،ولأنه نقل من الإسرائيليات .

ويستطرد فيقول: " والظاهر إبقاء لفظ النعجة على حقيقتها من كونها أنثى الضأن ، ولا يكنى بها عن المرأة ، ولا ضرورة تدعو إلى ذلك لأن ذلك الإخبار كان صادرا من الملائكة ، على سبيل التصوير للمسألة والفرض لها مرة غير تلبس بشيء منها ، فمثلوا بقصة رجل له نعجة ، ولخليطه تسع وتسعون ، فأراد صاحبه تتمة المائة ، فطمع في نعجة خليطة ، وأراد انتزاعها منه وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده ، ويدل على ذلك قوله : "**وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ**" ، وهذا التصوير والتمثيل أبلغ في المقصود وأدل على المراد"[١]

ألا ما أجمل الرد البديع والاستشهاد السديد من أبي حيان الذي نقى ساحة النبوة وطهر صاحب الرسالة مما أراد أن يلحقه به اليهود وأصحاب الهوى ، فحافظ على عصمة الأنبياء ، ونسب إليهم كل فضل وخلق ، وحافظ على كرامة المرأة من تشبيهها بالنعجة ، ولعلنا بهذا البيان نكون قد وفقنا للصواب في عرض موقف العلامة أبي حيان من الدخيل في تفسير تلك القصة الكريمة ، والله أعلم بمراده .

---

١ – البحر المحيط(٩/ ١٤٩)

المطلب الثاني: موقفه من الدخيل في تفسير قصة سليمان عليه السلام

أولا: ما جاء في فتنة سليمان بالصافنات الجياد

ومن الدخيل في تفسير القصص القرآني والذي أورده أبو حيان في تفسيره –معقبا عليه ناقدا إياه– ما جاء في قوله تعالى" **وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ**"[1]

حيث نقل عن جمهور العلماء أنهم قالوا : عرضت عليه آلاف من الخيل تركها أبوه له ، وقيل : ألف واحد ، فأجريت بين يديه عشيا ، فتشاغل بحسنها وجريها ومحبتها عن ذكر له ، فقال : ردوها عليّ. فطفق يضرب أعناقها وعراقيبها بالسيف لما كانت سبب الذهول عن ذلك الذكر ، فأبدله اللّه أسرع منها الريح. وقال قوم منهم الثعلبي : كانت بالناس مجاعة ، ولحوم الخيل لهم حلال ، فعقرها لتؤكل على سبيل القربة ، ونحر الهدي عندنا. انتهى. وفي هذه القصة ألفاظ فيها غض من منصب النبوّة كفينا عنه.

وقالت طائفة : عرض على سليمان الخيل وهو في الصلاة ، فأشار إليهم أني في صلاتي ، فأزالوها عنه حتى دخلت في الاصطبلات فقال هو لما فرغ من صلاته : إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ ، أي الذي عند اللّه في الآخرة بسبب ذكر ربي ، كأنه يقول : فشغلني ذلك عن رؤية الخيل حتى أدخلت اصطبلاتها[2] ، ردوها عليّ فطفق يمسح أعرافها وسوقها محبة لها. وقال ابن عباس والزهري : مسحه بالسوق والأعناق لم يكن بالسيف بل بيديه

---

١ – سورة ص: ٣٠: ٣٣

٢ – الاصطبلات : موقف الدابة وفي التهذيب: موقف الفرس ، وقيل للدواب (لسان العرب١١/ ١٨)

تكريما لها ومحبة ، ورجحه الطبري.[١] وقيل : بل غسلا بالماء. وقال الثعلبي : إن هذا المسح كان في السوق والأعناق بوسم حبس في سبيل اللّه. [٢] قال أبو حيان: وهذا القول هو الذي يناسب مناصب الأنبياء ، لا القول المنسوب للجمهور ، فإن في قصته ما لا يليق ذكره بالنسبة للأنبياء.[٣] ثم قال :"وللزمخشري لفظا فيه غض من النبوة فتركته"[٤]

الدراسة والتعليق: أقول: من الواجب على العالم ألا يخشى في الله لومة لائم ، وهذا ما فعله أبو حيان –رحمه الله– فقد رد قول الجمهور الذي استند إلى التفسير الإسرائيلي لمضمون الآيات ، وتمسك برأيه وقوله ولم يحد عنه ، وأرى كما ارتآه من تبرئة مناصب الأنبياء عليهم السلام من كل شبهة، وهكذا أصحاب العقول السليمة هم الذين يسبحون خارج السرب ويكون لهم الفضل والسبق .

قال الدكتور صلاح الخالدي:" وقد أوردت الإسرائيليات تفصيلات إسرائيلية عن فتنة سليمان بالخيل وتقصيره في العبادات والواجبات لاشتغاله بالخيل وسباقها ، وأنه لما ندم على ذلك قام بقتل تلك الخيل وإتلافها ، وقد أعجب رواة الإسرائيليات من المؤرخين والمفسرين بتلك التفصيلات ، وأوردوها في مؤلفاتهم ،وفسروا بها كلام الله ،ويجب أن ننزه نبي الله سليمان عن هذه الاتهامات ، ولا يجوز أن نلصق به تلك الأكاذيب والمزاعم "[٥]

١ – جامع البيان (٢٣/ ١٥٦)
٢ – التسهيل في علوم التنزيل(٣/ ١٨٤)
٣ – البحر المحيط(٩/ ١٥٤)
٤ – المرجع السابق(٩/ ١٥٥)
٥ – القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث د/ صلاح الخالدي (٣/ ٤٨٣)ط: دار القلم

ومما يؤكد كون ذلك من الدخيل ما يلي:

أولا: اشتماله على ما ينافي العصمة الثابتة لنبي الله سليمان عليه السلام ، وهو ما نص عليه أبو حيان في كلامه السابق ، ويؤكد ذلك أيضا قول ابن حزم عن هذه القصة:" وَهَذِه خرافة مَوْضُوعَة مكذوبة سخيفة بَارِدَة قد جمعت أفانين من القَوْل وَالظَّاهِر أَنَّهَا من اختراع زنديق بِلَا شكّ لِأَن فِيهَا معاقبة خيل لَا ذَنْب لَهَا والتمثيل بهَا واتلاف مَال منتفع بِهِ بِلَا معنى وَنسبَة تَضْيِيع الصَّلَاة إِلَى نَبِي مُرْسل ثمَّ يُعَاقب الْخَيل على ذَنبه لَا على ذنبها وَهَذَا أَمر لَا يستجيزه صبي ابْن سبع سِنِين فَكيف بِنَبِي مُرْسل"[1]

فالقصة المذكورة تجمع على سليمان عليه السلام أنواعا من الأفعال المذمومة كما يلي:

١- ترك صلاة العصر ٢-أنه استولى عليه الاشتغال بحب الدنيا إلى حيث نسي الصلاة ٣- أنه بعد الإتيان بهذا الذنب العظيم لم يشتغل بالتوبة والإنابة البتة ٤- أنه خاطب رب العالمين بقوله : "رُدُّوها عَلَيَّ" وهذه كلمة لا يذكرها الرجل الحصيف إلا مع الخادم الخسيس ٥- أنه أتبع هذه المعاصي بعقر الخيل في سوقها وأعناقها ،فهذه أنواع من الكبائر نسبوها إلى سليمان عليه السلام مع أن لفظ القرآن لم يدل على شيء منها : وسادسها : أن هذه القصص إنما ذكرها اللّه تعالى عقيب قوله : وَقالُوا رَبَّنا عَجِّلْ لَنا قِطَّنا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسابِ [ص : ١٧] وأن الكفار لما بلغوا في السفاهة إلى هذا الحد قال اللّه تعالى لمحمد صلي اللّه عليه وسلّم «اصبر يا محمد على سفاهتهم واذكر عبدنا داود : وذكر قصة داود ، ثم ذكر عقيبها قصة سليمان ، وكان التقدير أنه تعالى قال لمحمد عليه السلام اصبر يا محمد على ما يقولون واذكر عبدنا سليمان ، وهذا الكلام إنما يكون لائقا لو

١ – الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٤/ ١٦) مكتبة الخانجي – القاهرة

قلنا إن سليمان عليه السلام أتى في هذه القصة بالأعمال الفاضلة والأخلاق الحميدة ، وصبر على طاعة اللّه ، وأعرض عن الشهوات واللذات ، فأما لو كان المقصود من قصة سليمان عليه السلام في هذا الموضع أنه أقدم على الكبائر العظيمة والذنوب الجسيمة لم يكن ذكر هذه القصة لائقا بهذا الموضع ، فثبت أن كتاب اللّه تعالى ينادي على هذه الأقوال الفاسدة بالرد والإفساد والإبطال"[١]

ثانيا: مخالفته لدلالة اللفظ القرآني ، وذلك من حيث استعمال لفظ المسح في معنى القتل، قال صاحب المواقف:" "قطفق مسحا" معناه يمسح رؤوسها وأعناقها إكراما لها وحمله على قطعها ضعيف إذ لا دلالة للفظ عليه"[٢]

ثالثا: مخالفته لسياق الآيات الكريمة ،حيث ذكر الله تعالى قصة سليمان هنا في معرض المدح له ليقتدي به النبي صلى الله عليه وسلم في كرام أفعاله وعظيم صفاته ،وحبه للجهاد في سبيل الله ووسائله التي منها الخيل لذلك أحبها لأمر اللّه وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله "عن ذكر ربي"

وأما عن التفسير الصحيح للآيات الكريمة فهو ما أشار إليه أبو حيان فيما سبق ؛حيث إن مسحه بالسوق والأعناق للخيل لم يكن بالسيف بل بيديه تكريما لها ومحبة وكان أيضا بوسم حبس في سبيل اللّه والخلاصة: "أن سليمان احتياطا للغزو أراد أن يعرف قوة خيوله التي تتكوّن منها قوة الفرسان ، فجلس وأمر بإحضارها وإجرائها أمامه ، وقال إنى ما أحببتها للدنيا ولذاتها ، وإنما أحببتها لأمر اللّه وتقوية دينه ، حتى إذا ما أجريت وغابت عن بصره ، أمر راكضيها بأن يردوها إليه ، فلما عادت طفق

---

١ – مفاتيح الغيب (٢٦/ ٣٩١)

٢ – المواقف لعضد الدين الإيجي (٣/ ٤٢١) ت: د/عبد الرحمن عميرة دار الجيل – بيروت الطبعة الأولى ، ١٩٩٧

يمسح سوقها وأعناقها ، سرورا بها وامتحانا لأجزاء أجسامها ، ليعرف ما ربما يكون فيها من عيوب قد تخفى ، فتكون سببا في عدم أدائها مهمتها على الوجه المرضى"[١] فالغرض من المسح أمور الأول : تشريفا لها وإبانة لعزتها لكونها من أعظم الأعوان في دفع العدو الثاني : أنه أراد أن يظهر أنه في ضبط السياسة والملك يتضع إلى حيث يباشر أكثر الأمور بنفسه الثالث : أنه كان أعلم بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها ، فكان يمتحنها ويمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض ، فهذا التفسير الذي ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن انطباقا مطابقا موافقا ، ولا يلزمنا نسبة شيء من تلك المنكرات والمحذورات [٢]

ثانيا: ما جاء في فتنة سليمان عليه السلام وإلقاء الجسد على كرسيه

ومن الدخيل في تفسير القصص القرآني ما جاء في تفسير قوله تعالى "ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب "[٣] وملخصها فيما يلي: روي عن مجاهد قال: شيطانا يقال له آصف، قال له سليمان: كيف تفتنون الناس؟ قال: أرني خاتمك أخبرك. فلما أعطاه إياه نبذه آصف في البحر، فساح سليمان وذهب مُلكه، وقعد آصف على كرسيه، ومنعه الله نساء سليمان، فلم يقربهنّ، وأنكرنه؛ قال: فكان سليمان يستطعم فيقول: أتعرفوني أطعموني أنا سليمان، فيكذّبونه، حتى أعطته امرأة يوما حوتا يطيب بطنه، فوجد خاتمه في بطنه، فرجع إليه مُلكه، وفر آصف فدخل البحر فارا".[٤]

وقال السدي : المراد الشيطان حين جلس على كرسيه أربعين يوما؛ قال: كان لسليمان مئة امرأة، وكانت امرأة منهنّ يقال لها جرادة، وهي آثر

---

١ – تفسير المراغي(٢٣/ ١٠٩)

٢– مفاتيح الغيب (٢٦/ ٣٩٢)

٣ – سورة ص: ٣٤

٤ – ينظر: جامع البيان ٢١/ ١٩٧)

نسائه عنده، وآمنهن عنده، وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه، ولم يأتمن عليه أحد من الناس غيرها؛ فجاءته يوما من الأيام، فقالت: إن أخي بينه وبين فلان خصومة، وأنا أحب أن تقضي له إذا جاءك، فقال لها: نعم، ولم يفعل، فابتُلي وأعطاها خاتمه، ودخل المخرج، فخرج الشيطان في صورته، فقال لها: هاتي الخاتم، فأعطته، فجاء حتى جلس على مجلس سليمان، وخرج سليمان بعد، فسألها أن تعطيه خاتمه، فقالت: ألم تأخذه قبل؟ قال: لا وخرج مكانه تائها؛ قال: ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما. قال: فأنكر الناس أحكامه، فاجتمع قرّاء بني إسرائيل وعلماؤهم، فجاءوا حتى دخلوا على نسائه، فقالوا: إنا قد أنكرنا هذا، فإن كان سليمان فقد ذهب عقله، وأنكرنا أحكامه. قال: فبكى النساء عند ذلك، قال: فأقبلوا يمشون حتى أتوه، فأحدقوا به، ثم نشروا التوراة، فقرءوا؛ قال: فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه، ثم طار حتى ذهب إلى البحر، فوقع الخاتم منه في البحر، فابتلعه حوت من حيتان البحر. قال: وأقبل سليمان في حاله التي كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو جائع، وقد اشتدّ جوعه، فاستطعمهم من صيدهم، قال: إني أنا سليمان، فقام إليه بعضهم فضربه بعصا فشجَّه، فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر، فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه، فقالوا: بئس ما صنعت حيث ضربته، قال: إنه زعم أنه سليمان، قال: فأعطوه سمكتين مما قد مَذِر عندهم، ولم يشغله ما كان به من الضرر، حتى قام إلى شطّ البحر، فشقّ بطونهما، فجعل يغسل... ، فوجد خاتمه في بطن إحداهما، فأخذه فلبسه، فرد الله عليه بهاءه وملكه، وجاءت الطير حتى حامت عليه، فعرف القوم أنه سليمان، فقام القوم يعتذرون مما صنعوا، فقال: ما أحمدكم على عذركم، ولا ألومكم على ما كان منكم، كان هذا الأمر لا بُدّ منه، قال:

فجاء حتى أتى ملكه، فأرسل إلى الشيطان فجيء به، وسخر له الريح والشياطين يومئذ، ولم تكن سخرت له قبل ذلك"[1]

هذه خلاصة قصة استغرقت طويلا في كتب التفسير وهي- كما ترى معي- تلوح منها أمارات الكذب والبهتان والافتراء ، ويفوح منها وصمة الاختلاق على الأنبياء.

وهكذا راجت تلك المفتريات الإسرائيلية لدى جمهرة المفسرين الذين لم يعلقوا عليها بنقد او تكذيب مع ما تحمله في ثناياها من افتراء على نبي الله ومن قدح في عصمته ومن تمثل الشيطان بصورته ، وليت شعري، أي ملك هذا الذي يتوقف ثبوته وزواله على خاتم يتحايل الشيطان للحصول عليه فيتلاعب ويعبث به كيفما شاء؟ ونشرع الآن في الحديث عن موقف أبي حيان من هذا الدخيل فنقول وبالله التوفيق:

موقف أبي حيان -رحمه الله -من تفسير الفتنة والجسد الملقى على كرسيه

لقد أوضح العلامة أبو حيان حقيقة هذه الفتنة ذاكرا الوجه الصحيح في تفسير الآية فقال:" نقل المفسرون في هذه الفتنة وإلقاء الجسد أقوالا يجب براءة الأنبياء منها ، يوقف عليها في كتبهم ، وهي مما لا يحل نقلها ، وإنما هي من أوضاع اليهود والزنادقة ، ولم يبين اللّه الفتنة ما هي ، ولا الجسد الذي ألقاه على كرسي سليمان. وأقرب ما قيل فيه : أن المراد بالفتنة كونه لم يستثن في الحديث الذي قال : "لأطوفنّ الليلة على سبعين امرأة ، كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل اللّه ، ولم يقل إن شاء اللّه

---

١ - ينظر: جامع البيان (٢١/ ١٩٩) ، تفسير ابن كثير (٧/ ٥٩) تفسير القرطبي (١٥/ ١٩٨) ،تفسير ابن ابي حاتم (١٠/ ٣٢٤١)، والكشاف(٤/ ٩٠)، معالم التنزيل (٤/ ٥٢) ، تفسير الخازن(٤/ ٤١).

، فطاف عليهن ، فلم تحمل إلا امرأة واحدة ، وجاءته بشق رجل». قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم : "والذي نفسي بيده ، لو قال إن شاء اللّه لجاهدوا في سبيل اللّه فرسانا أجمعون"(١)

فالمراد بقوله : وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمانَ وَأَلْقَيْنا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَداً هو هذا ، والجسد الملقى هو المولود شق رجل، وقال قوم : مرض سليمان مرضا كالإغماء حتى صار على كرسيه جسدا كأنه بلا روح....

ثم قال : ولما أمر تعالى نبيه عليه السلام بالصبر على ما يقول كفار قريش وغيرهم ، أمره بأن يذكر من ابتلي فصبر ، فذكر قصة داود وقصة سليمان وقصة أيوب ليتأسى بهم ، وذكر ما لهم عنده من الزلفى والمكانة ، فلم يكن ليذكر من يتأسى به ممن نسب المفسرون إليه ما يعظم أن يتفوه به ويستحيل عقلا وجود بعض ما ذكروه ، كتمثل الشيطان بصورة نبي ، حتى يلتبس أمره عند الناس ، ويعتقدون أن ذلك المتصور هو النبي ، ولو أمكن وجود هذا ، لم يوثق بإرسال نبي ، وإنما هذه مقالة مسترقة من زنادقة السوفسطائية ، نسأل اللّه سلامة أذهاننا وعقولنا منها"(٢)

الدراسة والتعليق: وهكذا تناول أبو حيان نقد هذه القصة بحججه المنطقية القوية الملزمة برد هذه القصة

ومما يؤكد كون هذه القصة من الإسرائيليات ما يلي:-

أولا: أن هذه الروايات السابقة لم ترد في السنة الصحيحة ، بل هي مروية عمن اشتهر برواية الإسرائيليات كالسدي والكلبي وكعب الأحبار وغيرهم ، وينبغي أن يعلم ان صحة سندها إلى ابن عباس رضي الله

١ – أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد – باب من طلب الولد للجهاد (١٠/ ٢٣٢) ومسلم في كتاب الأيمان والنذور باب الاستثناء (٣/ ١٢٧٥)

٢ – البحر المحيط(٩/ ١٥٥، ١٥٦)

عنهما لا يدل على صحتها ؛ لأنه لا تلازم بين صحة الإسناد وصحة المتن ، فقد يصح السند أو يحسن لاستجماعه شروط الصحة أو الحسن ، ولا يصح المتن لشذوذ أو علة يؤكد ذلك قول الدكتور أبي شهبة :" إن قوة السند لا تنافي كونها مما أخذه ابن عباس وغيره عن كعب الأحبار وأمثاله من مسلمة أهل الكتاب ، فثبوتها في نفسها لا ينافي كونها من إسرائيليات بني إسرائيل ، وخرافاتهم ، وافتراءتهم على الأنبياء"[١]

كما استنكر أيضا أثبات العلماء هذه الخرافات ونفوا صحتها من جهة السند، ومنهم الحافظ ابن كثير حيث قال بعد أن عرض لها في تفسيره : "وهذه كلها من الإسرائيليات"[٢] وقال فيما نسب إلى الإمام ابن عباس:" إسناده إلى ابن عباس قوي ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس –إن صح عنه–من أهل الكتاب، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه السلام فالظاهر أنهم يكذبون عليه ولهذا كان في السياق منكرات من أشدها ذكر النساء فإن المشهور أن ذلك الجني لم يسلط على نساء سليمان بل عصمهن الله منه تشريفاً وتكريماً لنبيه صلى الله عليه وسلم، وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف، كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين وكلها متُلقَّاة من قصص أهل الكتاب والله أعلم بالصواب"[٣]

وقد علق الدكتور أبو شهبة على تلك الروايات فقال : "كلها أكاذيب وتلفيقات ، ولكن بعض الكذبة من بني إسرائيل كان أحرص ، وأبعد غورا من البعض الآخر ، فلم يتورط فيما تورط فيه البعض ، من ذكر تسلط الشيطان على نساء داود عليه السلام وذلك حتى يكون لما لفقه ، وافتراه ،

١ – الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص: ٣٤٥
٢ – تفسير ابن كثير (٧/ ٦٨)
٣ – المرجع السابق(٧/ ٦٩)

بعض القبول عند الناس ، أمام البعض الآخر ، فكان ساذجا في كذبه ، مغفلا في تلفيقه ، فترك آثار الجريمة بينة واضحة ، وبذلك : اشتمل ما لفقه على دليل كذبه....ثم قال:" إن قوة السند لا تنافي كونها مما أخذه ابن عباس وغيره عن كعب الأحبار وأمثاله من مسلمة أهل الكتاب ، فثبوتها في نفسها لا ينافي كونها من إسرائيليات بني إسرائيل ، وخرافاتهم ، وافتراءاتهم على الأنبياء"[١]

وهكذا تجسد المنهج السليم في الالتزام بالسند القطعي المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أما الركون إلى الآثار التي عبثت أيدي المارقين بدسها ونسبتها إلى السلف زورا وبهتانا ، وهي من اختلاقات اليهود وأعداء الإسلام ،فإن ذلك تنكب للصواب وميل عن جادة الحق إلى مزالق الضلال والغواية

ثانيا: مخالفة القصة لسياق الآيات الكريمة ، وهذا ما تنبه إليه العلامة أبو حيان، حيث بين أنه " لما أمر تعالى نبيه عليه السلام بالصبر على ما يقول كفار قريش وغيرهم ، أمره بأن يذكر من ابتلي فصبر ، فذكر قصة داود وقصة سليمان وقصة أيوب ليتأسى بهم ، وذكر ما لهم عنده من الزلفى والمكانة ، فلم يكن ليذكر من يتأسى به ممن نسب المفسرون إليه ما يعظم أن يتفوه به ويستحيل عقلا وجود بعض ما ذكروه ، كتمثل الشيطان بصورة نبي ، حتى يلتبس أمره عند الناس ، ويعتقدون أن ذلك المتصور هو النبي ، ولو أمكن وجود هذا ، لم يوثق بإرسال نبي ، وإنما هذه مقالة مسترقة من زنادقة السوفسطائية ، نسأل اللّه سلامة أذهاننا وعقولنا منها"[٢]

١ – الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص: ٣٤٥، ٣٤٦

٢ – البحر المحيط(٩/ ١٥٥، ١٥٦)

ثالثا: اشتمال هذه القصة على كثير من المخالفات التي لا تتفق ونبي الله سليمان عليه لسلام وذلك كما يلي: أ- تشبه الشيطان بنبي الله سليمان ، وهذا غير جائز لقوله صلى الله عليه وسلم "من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي"[١] ولو قدر الشيطان على أن يتشبه بالصورة والخلقة بالأنبياء ، فحينئذ لا يبقى اعتماد على شيء من الشرائع. فلعل هؤلاء الذين رآهم الناس في صورة محمد وعيسى وموسى عليهم السلام ما كانوا أولئك بل كانوا شياطين تشبهوا بهم في الصورة لأجل الإغواء والإضلال ، ومعلوم أن ذلك يبطل الدين بالكلية"[٢]

رابعا: تسلط الشيطان على سليمان عليه السلام وملكه وتصرفه فيه ، وهذا غير جائز بنص القرآن الكريم لقوله تعالى" إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين"[٣] وقوله سبحانه "إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون" [٤] فإذا كان الشيطان لا سلطان له على المؤمنين المتوكلين على الله تعالى فكيف بأمناء الله على وحيه ؟ قال القاضي عياض :"ولا يصح ما نقله الإخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه لأن الشياطين لا يسلطون على مثل هذا، وقد عصم الأنبياء من مثله"[٥]

"ولو قدر الشيطان على أن يعامل نبي اللّه سليمان بمثل هذه المعاملة لوجب أن يقدر على مثلها مع جميع العلماء والزهاد ، وحينئذ وجب أن يقتلهم وأن

---

١ – أخرجه مسلم في كتاب الرؤيا باب قول النبي عليه الصلاة و السلام من رآني في المنام فقد رآني(٤/ ١٧٧٥)

٢ – مفاتيح الغيب(٢٦/ ٣٩٣)

٣ – الحجر: ٤٢

٤ – النحل: ٩٩

٥ – الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (٢/ ١٦٧)

يمزق تصانيفهم وأن يخرب ديارهم ، ولما بطل ذلك في حق آحاد العلماء فلأن يبطل مثله في حق أكابر الأنبياء أولى ، وكيف يليق بحكمة اللّه وإحسانه أن يسلط الشيطان على أزواج سليمان؟ ولا شك أنه قبيح" [١] وإذا جاز للشيطان أن يتمثل برسول الله سليمان عليه السلام فأي ثقة بالشرائع تبقى بعد هذا ؟ وكيف يسلط الله الشيطان على نساء نبيه سليمان ، وهو أكرم على الله من ذلك ؟ إن هذا لشيء عجاب .

خامسا: معارضة القصة للعقل والسنن الإلهية يقول العلامة أبو شهبة :" وأي ملك أو نبوة يتوقف أمرهما على خاتم يدومان بدوامه ، ويزولان بزواله ؟ وما عهدنا في التاريخ البشري شيئا من ذلك. وإذا كان خاتم سليمان عليه السلام بهذه المثابة فكيف يغفل الله شأنه في كتابه الشاهد على الكتب السماوية ولم يذكره بكلمة ؟! وهل غير الله سبحانه خلقة سليمان في لحظة ، حتى أنكرته أعرف الناس به ، وهي : زوجته جرادة ؟ والحق : أن نسج القصة مهلهل ، لا يصمد أمام النقد ، وأن آثار الكذب والاختلاق بادية عليها"[٢]

سادسا: اضطراب الروايات في السبب الذي ابتلي لأجله سليمان عليه السلام على أقوال كثيرة :

أحدها : أن الله تعالى كان أمره ألا يتزوج امرأة من غير بني إسرائيل ، فخالف وتزوج امرأة من غيرهم ، فابتلاه الله تعالى بما ذكرنا .

والقول الثاني : أنه تزوج بامرأة ؛ فعبدت المرأة صنما في داره من غير أن يشعر سليمان بذلك ، فابتلاه الله تعالى لغفلته ، وهذا قول مشهور .

---

١ – مفاتيح الغيب(٢٦/ ٣٩٣)

٢ – الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص:٣٤٧

والقول الثالث : أنه كانت عنده امرأة ، وكان يحبها حبا شديدا ، فخاصم أخوها إلى سليمان في شيء مع إنسان ، فطلبت المرأة من سليمان أن يقضي لأخيها ؛ فقال لها : نعم ، ولم يفعل ذلك ، فابتلاه الله تعالى .

والقول الرابع : أنه احتجب من الناس ثلاثة أيام ، ولم ياذن لأحد ، ذكره شهر بن حوشب ، وابتلاه الله تعالى بما ذكرنا ، وأوحى الله تعالى يا سليمان ، إني إنما بعثتك وأعطيتك هذا الملك ؛ لتنصف المظلومين ، وتكون عونا للضعفاء على الأقوياء ، ولم أعطك لتحتجب عن الناس .

والقول الخامس : أن سليمان عليه السلام ولدله ابن ، فخاف عليه من الشياطين ، فأودعه السحاب لتربيه ؛ فسقط على كرسيه ميتا ، فهو معنى قوله تعالى : (وألقينا على كرسيه جسدا) والله أعلم .

والقول السادس : ما روي عن الحسن قال : إنه كان أصاب من بعض نسائه في حالة الحيض ، فابتلاه الله تعالى بما ذكرنا [1] ولا شك أن الاضطراب بين الروايات مع ضعفها أمارة الكذب والوضع والاختلاق ، فالحق أن نسج القصة مهلهل لا يصمد أمام النقد ، وأن أمارة الكذب بارزة عليه.

وحق لمثل هذه القصة وشبيهاتها ان تبطل وتمحق بالكلية لما تحوه من باطل وبهتان عظيم ، وإذا كان ما ورد في تفسيرها بهذه المثابة من البطلان والسوء فما تفسيرها الصحيح ؟ هذا ما ستعرضه السطور التالية.

التفسير الصحيح لفتنة سليمان عليه السلام

لن نرى أو نجد أعدل أو أوثق مما بينه أبو حيان في توضيح هذه الفتنة التي فتن بها سليمان عليه السلام حيث قال :" وأقرب ما قيل فيه : أن المراد بالفتنة كونه لم يستثن في الحديث الذي قال : "لأطوفنّ الليلة على

١ – تفسير السمعاني (٤/ ٤٤٣، ٤٤٤)

سبعين امرأة ، كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل اللّه ، ولم يقل إن شاء اللّه ، فطاف عليهن ، فلم تحمل إلا امرأة واحدة ، وجاءته بشق رجل». قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم : "والذي نفسي بيده ، لو قال إن شاء اللّه لجاهدوا في سبيل اللّه فرسانا أجمعون"[١] فالمراد بقوله : وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمانَ وَأَلْقَيْنا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَداً هو هذا ، والجسد الملقى هو المولود شق رجل، وقال قوم : مرض سليمان مرضا كالإغماء حتى صار على كرسيه جسدا كأنه بلا روح"[٢]

والأمر واضح –كما ترى معي أخي الكريم– أن القصة قد خلت تماما من هذه الترهات والأباطيل التي فسرت بها الآيات آنفا ، ولا أدري كيف راجت هذه الأباطيل على علماء عظام لهم قدم في العلم راسخة ، ولعل مما يعتذر به عنهم في مثل هذا المقام أنهم ساقوها بسندها ، وتركوا الحكم على القارئ سيرا على القاعدة "من أسند لك فقد حملك التبعة" أي تبعة البحث عن رجال السند ،ومن لم يذكر السند منهم إما تركوا التعقيب ثقة بعلم القارئ وفهمه ، أو خدعوا بها وبمجيئها من بعض الطرق التي قد يظن فيها الحسن والقبول . وهذا الحديث السابق وإن لم يصرح بالارتباط الوثيق بين الآيات وبين هذه القصة المذكورة فيه ، ويبين أنها سببا لنزول هذه الآيات ، إلا أنه أحسن حالا ، وأفضل مآلا مما ورد في القصة من إسرائيليات. ،وهذا هو ما يليق بعصمة سيدنا سليمان عليه السلام وما يتفق مع العقول السليمة، ولذا فقد اختار جمهور المفسرين هذا الحديث تفسيرا للآية ،كما أيد العلامة الدكتور أبو شهبة هذا الاتجاه بقوله :" فهذا هو

١ – أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد – باب من طلب الولد للجهاد (١٠/ ٢٣٢) ومسلم في كتاب الأيمان والنذور باب الاستثناء (٣/ ١٢٧٥)

٢ – البحر المحيط (٩/ ١٥٥، ١٥٦)

المتعين في تفسير الآية ، وخير ما يفسر به كلام الله هو ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم"[1]

أما الوجه الآخر من الأوجه الصحيحة التي يمكننا قبولها في تفسير هذه القصة وهو ما ذكره الإمام أبو حيان هنا ، أنه مرض سليمان مرضا كالإغماء حتى صار على كرسيه جسدا كأنه بلا روح.

وأقول: اللفظ محتمل لهذا وهذا لعمري وجه من وجوه الطيبة التي يمكن أن تحمل القصة عليها دون غضاضة في اعتباره ، والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ليسوا معصومين من مرض وغيره من الابتلاءات التي لا تنفر الناس عنها رفعا لدرجتهم وإعلاء لمنزلتهم عند الله تعالى. ولا حاجة البتة إلى حمله على تلك الوجوه الركيكة التي ذكرها بعض المفسرين، فهي مما يجب أن تتنزه عنه أدمغة الناس وقلوبهم ، والله تعالى أعلى وأعلم .

المطلب الثالث

موقف أبي حيان من الدخيل في تفسير قصة أيوب عليه السلام

ومن القصص التي استغلها القصاصون الوضاعون ، وتزيد فيها المتزيدون وأطلقوا فيها لخيالهم العنان وصالوا فيها وجالوا ، ورووا فيها ما يتنافى مع عصمة الأنبياء وقدرهم عند الله قصة نبينا أيوب عليه السلام، فيعرض أبو حيان أقوال العلماء في سبب بلاء أيوب عليه السلام فيقول: "وذكر في سبب بلائه أن رجلا استغاثه على ظالم ، فلم يغثه. وقيل : كانت مواشيه في ناحية ملك كافر ، فداهنه ولم يفده. وقيل : أعجب بكثرة ماله. ولا يناسب مناصب الأنبياء ما ذكره الزمخشري من أن أيوب كانت منه طاعة للشيطان فيما وسوس به ، وأن ذلك كان سببا لما مسه اللّه به من

١ – الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص: ٣٤٨

النصب والعذاب ، ولا أن رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه ، ولا أنه داهن كافرا ، ولا أنه أعجب بكثرة ماله. وكذلك ما رووا أن الشيطان سلطه اللّه عليه حتى أذهب أهله وماله لا يمكن أن يصح ، ولا قدرة له على البشر إلا بإلقاء الوساوس الفاسدة لغير المعصوم. والذي نقوله :إنه تعالى ابتلى أيوب عليه السلام في جسده وأهله وماله على ما روي في الأخبار. وروى أنس عن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم ، أن أيوب بقي في محنته ثماني عشرة سنة يتساقط لحمه حتى مله العالم ، ولم يصبر عليه إلا امرأته"(١)(٢)

الدراسة والتعليق: المتأمل في ما سبق يجد أن أبا حيان قد عرض أولا أقوال المفسرين في سبب بلاء أيوب عليه السلام منكرا ما ذكره البعض من مخالفات تنافي عصمة نبي الله أيوب عليه السلام، وهذا أمر محمود يشكر له ،ثم رجع ووافق أخيرا على بلائه ، بيد أنه ذكر حديثا ضعيفا في ذلك ، وانطلى عليه أمثال هذه الرواية ، ولم يعلق عليها أو يشير إلى بطلانها ؛إيذانا برضاه ، أو توقفا عن الحسم فيها برأي.

وأصح ما ورد في قصته ما أخرجه ابن أبي حاتم وابن جريج وصححه ابن حبان والحاكم من طريق نافع بن يزيد عن عقيل عن الزهري عن أنس أن أيوب عليه السلام ابتلى فلبث في بلائه ثلاث عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الا رجلين من إخوانه فكانا يغدوان إليه ويروحان فقال أحدهما للآخر لقد أذنب أيوب ذنبا عظيما وإلا لكشف عنه هذا البلاء فذكره الآخر لأيوب يعني فحزن ودعا الله حينئذ فخرج لحاجته وأمسكت امرأته

١ – هذا الحديث لم أعثر عليه في كتب الحديث ، ولم يذكره إلا ابن عطية في تفسيره (٥/ ٤٥٢) وأبو حيان في هذا الموضع والألوسي في تفسيره روح المعاني (١٢/ ١٩٩) وكلهم بهذا اللفظ

٢ – البحر المحيط(٩/ ١٦١)

بيده فلما فرغ أبطأت عليه فأوحى الله إليه أن اركض برجلك فضرب برجله الأرض فنبعت عين فاغتسل منها فرجع صحيحا[١] وقد رويت القصة مطولة جدا عن وهب بن منبه ومحمد بن إسحاق ؛ مما يدل على أصل هذه القصة ، وأنها مما حمله أهل الكتاب ، ثم جاء القصاص والمولعون بالغرائب فزادوا فيها وأذاعوها ، فقد ذكر بعض الباحثين أن المبالغين في ضر أيوب إنما اعتمدوا على ما جاء عند أهل الكتاب في السفر المسمى بسفر أيوب [٢]

ومن العجيب حقا أن يتداول المفسرون مثل هذه القصة الإسرائيلية رغم القدح الفاحش الذي تضمنته في عصمة نبي الله أيوب عليه السلام ، وقل من أثبت زيفها من المفسرين.

أوجه بطلان هذه القصة ورفضها كلية

لأول وهلة يتبين للقارئ الكريم مدى بطلان أمثال هذه الروايات بجلاء ووضوح لا خفاء معهما ألبتة. وأول شيء تلمسه في هذه الروايات ضعفها ؛لأن مرجعها إلى النقل عن وهب بن منبه، وهو مشتهر بالنقل عن بني إسرائيل والنقل من كتبهم . ويعلق الحافظ ابن كثير في غير تفسيره على هذه الروايات فيقول:" وقد روي عن وهب بن منبه وغيره من علماء بني إسرائيل في قصة أيوب خبر طويل في كيفية ذهاب ماله وولده وبلائه في جسده والله أعلم بصحته"[٣]

هذا وإن رفع شيء من روايات قصة أيوب عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم لا يصح بحال ، بل هو كما يقول "المحققون من العلماء إما

---

١ – فتح الباري لابن حجر(٦/ ٤٢١)

٢ – ينظر :قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ص: ٣٥١ مكتبة التراث .القاهرة

٣ – قصص الانبياء لابن كثير ص: ٢٤٦ ط:مكتبة التقوى القاهرة ١٩٩٩م

من عمل بعض الوضاعين الذين يركبون الأسانيد للمتون ، أو من غلط بعض الرواة ، وأن ذلك من إسرائيليات بني إسرائيل وافتراءاتهم على الأنبياء والأصحية هنا نسبية ، على أن صحة السند لا تنافي أن أصله من الإسرائيليات ، كما قلت مرارًا ، والإمام الحافظ ابن حجر على جلالته ربما يوافق على تصحيح ما يخالف الأدلة العقلية والنقلية ، كما فعل في قصة الغرانيق ، وهاروت وماروت وكل ما روي موقوفا أو مرفوعا لا يخرج عما ذكره وهب بن منبه ، في قصة أيوب ، التي أشرنا إليها آنفا ، وما رواه ابن إسحاق أيضا ، فهو مما أخذه عن وهب وغيره" [١] هذا ويزداد رفض القصة من خلال عرض بطلانها نقلا وعقلا:

أما بطلانها من ناحية النقل:

١- فلأن القرآن الكريم لم يذكر من أمر أيوب عليه السلام شيئا إلا في موطنين[٢] وفي كل منهما إفادة بأن الحق تعالى ابتلى أيوب عليه السلام بضر ونصب ، وأن أيوب عليه السلام سأل الله أن يكشف عنه هذا الضر ، وأن يرفع عنه هذا البلاء ، ولم تذكر الآيات في شأنه أكثر من ذلك ولا شيئا من هذه الخرافات ، فلا يبحث في شيء سواه

٢- كما أن صحيح السنة النبوية لم تذكر من شأن أيوب عليه السلام من هذه الترهات ، فلا يبحث أيضا عما وراءها فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" بينما أيوب يغتسل عريانا خر عليه رجل[٣] جراد من ذهب ، فجعل يحثي في ثوبه فناداه ربه :يا أيوب

١ – الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص: ٣٥٣ بتصرف

٢ – الموطن الأول في الأنبياء/٨٣، ٨٤، والثاني في سورة ص

٣ – بكسر الراء وسكون الجيم : أي جماعة من جراد ينظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني(٧/ ٣٢٤) ط: دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٦م

ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى يارب ولكن لا عنى لي عن بركتك"[١] ويعجبني ما قاله الإمام ابن العربي رحمه الله :" وإذا لم يصح عنه فيه قرآن ولا سنة إلا ما ذكرناه ، فمن الذي يوصل السامع إلى أيوب خبره ، أم على أي لسان سمعه ؟ والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات ؛ فأعرض عن سطورها بصرك ، واصمم عن سماعها أذنيك ، فإنها لا تعطي فكرك إلا خيالا ، ولا تزيد فؤادك إلا خبالا"[٢]

وأما بطلان القصة من ناحية العقل

١- فلأن المذكور في هذه القصة ينافي ما ميز الله تعالى به الأنبياء من العصمة عن المنفرات، وإلا فكيف يلتف الناس من حولهم ، ويقبلون منهم دعوتهم ، وفي ذلك يقول بعض العلماء:" وهذا يتنافى مع منصب النبوة ، إذ الأنبياء منزهون عن الأمراض المنفرة ، ويمكن أن نفهم أن الابتلاء بهذا الشكل كان قبل النبوة فلما صبر وصابر اجتباه اللّه واختاره نبيا..."[٣] " وعظم بلائه عليه السلام مما شاع وذاع ولم يختلف فيه اثنان لكن في بلوغ أمره إلى أن ألقي على كناسة ونحو ذلك فيه خلاف قال الطبرسي : قال أهل التحقيق أنه لا يجوز أن يكون بصفة يستقذره الناس عليها لأن في ذلك تنفيرا فأما الفقر والمرض وذهاب الأهل فيجوز أن يمتحنه اللّه تعالى بذلك"[٤].

---

١ – أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى"وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر "(١١/ ١٨٦)

٢ – نسب هذا القول الإمام القرطبي إلى الإمام ابن العربي ، ولم أعثر عليه في أحكامه يراجع: تفسير القرطبي (١٥/ ٢١٠)

٣ – التفسير الواضح د/ محمد محمود حجازي (٢/ ٥٤٨) دار الجيل الجديد

٤ – روح المعاني(١٢/ ١٩٩)

٢- كما أن العقل لا يقبل بحال من الأحوال أن يكون داعية على مبدأ أو عقيدة فيه كل هذه المنفرات التي تصد الناس عنه ، وتباعد بينهم وبينه ،والقادة فضلا عن الرسل –عليهم السلام- لا بد أن تكون لهم من الصفات البدنية بجوار ما لهم من الصفات الخلقية ما يلقي عليهم المهابة ، وإلا فما معنى قوله تعالى" وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم "(١)(٢)

٢- ما تحمله هذه القصة من اضطراب يؤكد عدم صحتها ، وذلك لاختلافها في نفسها في تحديد مدة مرض سيدنا أيوب عليه السلام ، والتي لا جامع ولا رابط بها مما يوحي بوضعها واختلاقها .

٣- فضلا عن ورود ما يماثلها ويقاربها من كتب أهل الكتاب وأسفارهم ، مما يوحي بأن مرد هذه القصة كتب أهل الكتاب وأسفارهم (٣)

وهذا يدل أعظم الدلالة على أن معظم ما روي في قصة أيوب مما أخذ عن أهل الكتاب الذين أسلموا ، وجاء القصاصون المولعون بالغرائب ، فزادوا في قصة أيوب ، وأذاعوها ، حتى اتخذ منها الشحاذون ، والمتسولون وسيلة لاسترقاق قلوب الناس ، واستدرار العطف عليهم وقد دل كتاب الله الصادق ، على لسان نبيه محمد الصادق على أن الله تبارك وتعالى ابتلى نبيه أيوب عليه الصلاة والسلام في جسده وأهله وماله ، وأنه صبر حتى حتى صار مضرب الأمثال في ذلك ، وقد أثنى الله عليه هذا الثناء المستطاب ، قال عز شأنه : "إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّاب" ،

---

١ – البقرة: ٢٤٧

٢ – الإسرائيليات في التفسير والحديث للذهبي ص: ١٣٢: ١٣٥ بتصرف

٣ – ينظر: سفر أيوب: الإصحاح الأول والثاني من الكتاب المقدس ص: ٧٩٣- ٧٩٥ط: البروتستانت.

فالبلاء مما لا يجوز أن يشك فيه أبدًا ، والواجب على المسلم : أن يقف عند كتاب الله ، ولا يتزيد في القصة كما تزيد زنادقة أهل الكتاب ، وألصقوا بالأنبياء ما لا يليق بهم ، وليس هذا بعجيب من بني إسرائيل الذين لم يتجرأوا على أنبياء الله ورسله فحسب بل تجرأوا على الله تبارك وتعالى ونالوا منه وفحشوا عليه ، ونسبوا إليه ما قامت

الأدلة العقلية والنقلية المتواترة على استحالته عليه سبحانه وتعالى من قولهم :"إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء"[1] وقولهم "يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا"[2] عليهم لعائن الله.

والذي يجب أن نعتقده : أنه ابتلي ، ولكن بلاءه لم يصل إلى حد هذه الأكاذيب ، من أنه أصيب بالجذام، وأن جسمه أصبح قرحة ، وأنه أُلقِيَ على كناسة بني إسرائيل ، يرعى في جسده الدود ، وتعبث بن دواب بني إسرائيل ، أو أنه أصيب بمرض الجدري.

وأيوب عليه صلوات الله وسلامه أكرم على الله من أن يلقى على مزبلة ، وأن يصاب بمرض ينفر الناس من دعوته ، ويقززهم منه ، وأي فائدة تحصل من الرسالة وهو على هذه الحال المرزية التي لا يرضاها الله لأنبيائه ورسله ؟والأنبياء إنما يبعثون من أوساط قومهم ، فأين كانت عشيرته فتواريه ، وتطعمه بدل أن تخدم امرأته الناس ، بل وتبيع ضفيرتيها في سبيل إطعامه؟ بل أين كان أتباعه ، والمؤمنون منه ، هل تخلَّوا عنه في بلائه ؟كيف والإيمان ينافي ذلك"[3]

---

١ – آل عمران: ١٨١

٢ – المائدة: ٦٤

٣ – الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص: ٣٥٣

التفسير الصحيح لهذه القصة

يذكر الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قصة أيوب وابتلاء الله له بالمرض والمشقة والألم، ليكون – عليه السلام – مثالا كريما يحتذيه ويتأسى به كل من تصيبه مصيبة في نفسه أو ولده أو ماله لينال جزاء الصابرين أو اذكر قصته – عليه السلام – في نفسك لتكون عونا لك على الصبر على مما تلاقيه وتكابده من هؤلاء الضالين المعاندين المشركين ،واذكر أن الشيطان قد وسوس له ليثنيه عن يقينه وينال من طمأنينة قلبه بما يلح في الوسوسة ودعوة أيوب إلى القنوط واليأس من رحمة وبه، وكان هذا الأمر قاسيا وشديدا على أيوب مع مرضه وعلته، فضلا عن تسلط الشيطان على أتباعه حتى فتن بعضهم في دينه، ورده إلى الكفر بعد أن غرس في نفوسهم أن الأنبياء لا يبتلون ولا يمرضون، وأن أيوب ما دام قد أصابه المرض ومسه الضر فليس بني ولا رسول، كما تسلط ذلك اللعين على آخرين حتى قالوا: ما ابتلى الله أيوب إلا لذنب أصاب أو جريمة اقترف، فكان أيوب يعاني من مشقة تسلط الشيطان عليه بالوسوسة بالقنوط من رحمة الله، كما يعاني ويتألم لفتنة أتباعه وتفرقهم عنه وتشككهم في رسالته.

وكان أيوب – عليه السلام – في قمة الأدب مع ربه فجاء هنا حكاية عنه قوله – تعالى –: "أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ"(١)

هذا هو الحق في قصة أيوب عليه السلام ، والواجب على المسلم أن يقف عند كتاب الله تعالى ولا يتزيد في القصة كما تزيد زنادقة اهل الكتاب ، ووضعوا ما ليس فيه وألصقوا بالأنبياء ما لا يليق بهم ، ويكفينا أن نعلم أن أيوب عليه السلام قد أنعم الله عليه فشكر وابتلاه فصبر حتى ضرب به

١ – التفسير الوسيط مجمع البحوث الإسلامية (٨/ ٥٠٥) الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٩٣م

المثل ، واستحق ثناء الله عليه في قوله تعالى" إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب"[١]

المطلب الرابع : موقف أبي حيان من الدخيل في قصة الذبيح عليه السلام

ومن الدخيل ما جاء في تفسير قوله تعالى" وقال إني ذاهب إلى ربى سيهدين رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بنى إني أرى في المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الآخرين سلام على إبراهيم كذلك نجزى المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين وبشرناه بإسحق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين"[٢]

فيعرض لنا أبو حيان ما قيل في شأن الذبيح مفصلا القول في ذلك فيقول: "الظاهر أن هذه بشارة غير تلك البشارة ، وأن الغلام الحليم المبشر به إبراهيم هو إسماعيل ، وأنه هو الذبيح لا إسحاق وهو قول ابن عباس ، وابن عمر ، ومعاوية بن أبي سفيان ، ومحمد بن كعب القرظي ، والشعبي ، والحسن ، ومجاهد ، وجماعة من التابعين واستدلوا :

١- بظاهر هذه الآيات وبقوله عليه السلام : "أنا ابن الذبيحين"(٣)

---

١ – سورة ص: ٤٤

٢ – الصافات:

٣ – ذكره الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠٩)معلقا، وقال الذهبي : إسناده واه ،ينظر مختصر تلخيص الذهبي (٢/ ١٠٠٩) وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١ / ٥٠٠) : لا أصل له بهذا اللفظ . وفي "الكشف" (١ / ١٩٩) : قال الزيلعي وابن حجر في "تخريج الكشاف : " لم نجده بهذا اللفظ" .

٢- بقول الأعرابي له : يا ابن الذبيحين ، فتبسم عليه السلام ، يعني إسماعيل ، وأباه عبد اللّه، وكان عبد المطلب نذر ذبح أحد ولده ، فخرج السهم على عبد اللّه ، فمنعه أخواله وقالوا له : افد ابنك بمائة من الإبل ، ففداه بها.

٣-بما أوحى اللّه لموسى في حديث طويل: " وأما إسماعيل ، فإنه جاد بدم نفسه.[١]

٤-سأل عمر بن عبد العزيز يهوديا أسلم عن ذلك فقال : إن يهوديا ليعلم ، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ، وكان قرنا الكبش منوطين في الكعبة. وسأل الأصمعي أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال : يا أصمعي ، أين عزب عنك عقلك؟ ومتى كان إسحاق بمكة؟ وهو الذي بنى البيت مع أبيه ، والمنحر بمكة؟ "[٢]

الدراسة والتعليق: الحق أن المرويات في أن الذبيح إسحاق هي من إسرائيليات أهل الكتاب، وقد نقلها من أسلم منهم ككعب الأحبار، وحملها عنهم بعض الصحابة والتابعين، تحسيناً للظن بهم، فذهبوا إليه، وجاء بعدهم العلماء فاغتروا بها، وذهبوا إلى أن الذبيح إسحاق، وما من كتاب من كتب التفسير والسير والتواريخ إلا ويذكر فيه الخلاف بين السلف في هذا، إلا أن منهم من يعقب ببيان وجه الحق في هذا، ومنهم من لا يعقب اقتناعًا بها وتسليمًا لها.

يقول العلامة فضيلة الأستاذ الدكتور "محمد أبو شهبة": وحقيقة هذه المرويات أنها من وضع أهل الكتاب؛ لعداوتهم المتأصلة من قديم الزمان للنبي الأمي العربي محمد -عليه الصلاة والسلام- وقومه العرب، فقد

١ – نقل هذا عن محمد بن كعب القرظي ينظر :الكشاف (٤/ ٥٨)

٢ – البحر المحيط(٩/ ١١٩)

أرادوا ألا يكون لإسماعيل الجد الأعلى للنبي –صلى الله عليه وسلم– والعرب فضل أنه الذبيح؛ حتى لا ينجر ذلك إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– وإلى الجنس العربي.

نقول أيضًا: إن أهل الكتاب قد حرفوا التوراة، ولأجل هذا ولأجل أن يكون هذا الفضل لجدهم إسحاق لا لأخيه إسماعيل حرفوا التوراة في هذا، ولكن الله أبى إلا أن يغفل عما يدل على هذه الجريمة النكراء، والجاني غالبًا يترك من الآثار ما يدل على جريمته، والحق يبقى له شعاع ولو خافت يدل عليه مهما حاول المبطلون إخفاء نوره وطمس معالمه، فقد حذفوا من التوراة لفظ إسماعيل، ووضعوا بدله لفظ إسحاق، ولكنهم غفلوا عن كلمة كشفت عن هذا التزوير، وذلك الدس المشين، وإليك نص التوراة:

ففي التوراة الإصحاح الثاني والعشرون، الفقرة الثانية هذا النص: "فقال الرب خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق، واذهب إلى أرض المريا واصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك" انظر إلى العبارة، فليس أدلّ على كذب هذا من كلمة وحيدك، وإسحاق –عليه السلام– لم يكن وحيدًا قط؛ لأنه ولد ولإسماعيل نحو أربع عشرة سنة، نعرف أن أول من بشر به سيدنا إبراهيم من الأولاد سيدنا إسماعيل، ثم كان إسحاق بعد ذلك، وهذا صريح في توراتهم هذا الكلام، وقد بقي إسماعيل –عليه السلام– حتى مات أبوه الخليل إبراهيم وحضر وفاته ودفنه.[1] وإذا كان القول بأن الذبيح إسحاق باطلا فالصحيح أنه إسماعيل عليه السلام ، **ويدل على ذلك وجوه كثيرة من أهمها ما يلي:**

أولا: سياق الآيات الكريمة في سورة الصافات التي تحدثت عن قصة الذبيح ،وإيضاح ذلك أَنّ اللّهَ سُبْحَانَهُ لَمّا ذَكَرَ قِصّةَ إبْرَاهِيمَ وَابْنَهُ الذّبِيحِ فِي

١ – السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة د/ محمد أبي شهبة (١/ ١١٤) بتصرف دار القلم .

سُورَةِ (الصّافّاتِ) قَالَ: " فَلَمّا أَسْلَمَا وَتَلّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدّقْتَ الرّؤْيَا إِنّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ"[١] ثُمّ قَالَ تَعَالَى " وَبَشّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّا مِنَ الصّالِحِينَ" [٢] فَهَذِهِ بِشَارَةٌ مِنْ اللّهِ تَعَالَى لَهُ شُكْرًا عَلَى صَبْرِهِ عَلَى مَا أَمَرَ بِهِ وَهَذَا ظَاهِرٌ جِدّا فِي أَنّ الْمُبَشّرَ بِهِ غَيْرُ الْأَوّلِ بَلْ هُوَ كَالنّصّ فِيهِ[٣] ولِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ حَمْلُ كِتَابِ اللَّهِ عَلَى أَنَّ مَعْنَاهُ: فَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ، ثُمَّ بَعْدَ انْتِهَاءِ قِصَّةِ ذَبْحِهِ يَقُولُ أَيْضًا: وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ، فَهُوَ تَكْرَارٌ لَا فَائِدَةَ فِيهِ يُنَزَّهُ عَنْهُ كَلَامُ اللَّهِ، وَهُوَ وَاضِحٌ فِي أَنَّ الْغُلَامَ الْمُبَشَّرَ بِهِ أَوَّلًا الَّذِي فُدِيَ بِالذَّبْحِ الْعَظِيمِ، هُوَ إِسْمَاعِيلُ، وَأَنَّ الْبِشَارَةَ بِإِسْحَاقَ نَصَّ اللَّهُ عَلَيْهَا مُسْتَقِلَّةً بَعْدَ ذَلِكَ.[٤]

ثانيا: أَنَّ الْمُقَرَّرَ فِي الْأُصُولِ: أَنْ النَّصَّ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذَا احْتَمَلَ التَّأْسِيسَ وَالتَّأْكِيدَ مَعًا وَجَبَ حَمْلُهُ عَلَى التَّأْسِيسِ، وَلَا يَجُوزُ حَمْلُهُ عَلَى التَّأْكِيدِ، إلَّا لِدَلِيلٍ يَجِبُ الرُّجُوعُ إلَيْهِ. وَمَعْلُومٌ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، أَنَّ الْعَطْفَ يَقْتَضِي الْمُغَايَرَةَ، فَآيَةُ «الصَّافَّاتِ» هَذِهِ، دَلِيلٌ وَاضِحٌ لِلْمُنْصِفِ عَلَى أَنَّ الذَّبِيحَ إسْمَاعِيلُ لَا إسْحَاقُ، وَيُسْتَأْنَسُ لِهَذَا بِأَنَّ الْمَوَاضِعَ الَّتِي ذُكِرَ فِيهَا إسْحَاقُ يَقِينًا عُبِّرَ عَنْهُ فِي كُلِّهَا بِالْعِلْمِ لَا الْحِلْمِ، وَهَذَا الْغُلَامُ الذَّبِيحُ وَصَفَهُ بِالْحِلْمِ لَا الْعِلْمِ.[٥]

---

١ – الصافات :١٠٣: ١١١

٢ – الصافات: ١١٢

٣ – زاد المعاد لابن القيم(١/ ٧٠)

٤ – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (٦/ ٣١٧)

٥ – المرجع السابق (٦/ ٣١٨)

ثالثا: أن الله وصفه بالصبر دون إسحاق كما في قوله: "وإسماعيل واليسع وَذَا الكفل كُلٌّ مّنَ الصابرين "[1] وهو صبره على الذبح ، ووصفه بصدق الوعد في قوله :" إِنَّهُ كَانَ صادق الوعد"[2] ؛ لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح ، فوفى به ، ولأن الله سبحانه قال :" وبشرناه بإسحاق نَبِيّاً" فكيف يأمره بذبحه ، وقد وعده أن يكون نبياً ، وأيضاً فإن الله قال :" فبشرناها بإسحاق وَمِن وَرَاء إسحاق يَعْقُوبَ"[3] ، فكيف يؤمر بذبح إسحاق قبل إنجاز الوعد في يعقوب"[4]

رابعا: حكى اللّه تعالى عنه أنه قال : "إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي سَيَهْدِينِ" ثم طلب من اللّه تعالى ولدا يستأنس به في غربته فقال : "رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ" وهذا السؤال إنما يحسن قبل أن يحصل له الولد ، لأنه لو حصل له ولد واحد لما طلب الولد الواحد ، لأن طلب الحاصل محال وقوله : هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ لا يفيد إلا طلب الولد الواحد ، وكلمة من للتبعيض وأقل درجات البعضية الواحد فكأن قوله : مِنَ الصَّالِحِينَ لا يفيد إلا طلب الولد الواحد فثبت أن هذا السؤال لا يحسن إلا عند عدم كل الأولاد فثبت أن هذا السؤال وقع حال طلب الولد الأول ، وأجمع الناس على أن إسماعيل متقدم في الوجود على إسحاق ، فثبت أن المطلوب بهذا الدعاء وهو إسماعيل ، ثم إن اللّه تعالى ذكر عقيبه قصة الذبيح فوجب أن يكون الذبيح هو إسماعيل.[5]

---

١ – الأنبياء:٨٥

٢ – مريم : ٥٤

٣ – هود :٧١

٤ – فتح القدير (٦/ ٢٠٩)

٥ – مفاتيح الغيب (٢٦/ ٣٤٧)

وبعد ذكر هذه الأدلة أرى أن القول بأن الذبيح إسماعيل عليه السلام هو الرأي الذي يتفق مع ظاهر القرآن الكريم ، ويعتمد على قوة الاستنباط وسلامة الاستنتاج وحسن الاستدلال من مجموع الآيات القرآنية التي وردت فيها قصة الذبيح ، حتى بلغ من قوة هذا الرأي ، ومدى استخلاصه من آيات الذكر الحكيم أن كثيرا من المفسرين ذكروه كأنه قد نص عليه نصا، ومن هؤلاء الحافظ ابن كثير وهذا هو الظاهر من القرآن، بل كأنه نص على أن الذبيح هو إسمعيل وأن القول بأن الذبيح إسحاق ليس في ذلك حديث صحيح عن المعصوم حتى نترك لأجله ظاهر الكتاب العزيز ولا يفهم هذا من القرآن، بل المفهوم بل المنطوق بل النص عند التأمل على أنه إسمعيل"(١)

وجرى على ذلك أيضا إمامنا أبو حيان حين نقلنا لكلامه السابق ،كما أن هذا الرأي هو الذي يتفق مع السنة النبوية ، وعليه أكثر الصحابة والتابعين ، ويتفق أيضا مع وقائع السيرة وأحداث التاريخ ، ويستفاد من نصوص التوراة التي بأيدي أهل الكتاب ، وقال به جمهور العلماء من المسلمين من المتقدمين والمتأخرين القدامى منهم والمحدثين.

المطلب الخامس: موقفه من الدخيل في قصة يوسف عليه السلام

أولا: ما ذكر بشأن أسماء الكواكب التي رآها يوسف عليه السلام

ومن الدخيل في تفسير القصص القرآني الذي أورده أبو حيان في تفسيره ، ولم يعقب عليها بشيء ما ذكره عند تفسير قوله تعالى "إذ قال يوسف لأبيه يأبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين" حيث قال في تفسيرها :"روي عن جابر بن عبد اللّه رضي الله عنه : أن يهوديا جاء إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم فقال : يا محمد أخبرني

١ – قصص الأنبياء لابن كثير (١/ ٢١٥)

عن أسماء الكواكب التي رآها يوسف ، فسكت عنه ، ونزل جبريل فأخبره بأسمائها ، فدعا رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم اليهودي فقال : هل أنت مؤمن إن أخبرتك بذلك؟ فقال : نعم. قال : جريان ، والطارق ، والذيال ، وذو الكتفين ، وقابس ، ووثاب ، وعمودان ، والفليق ، والمصبح ، والضروح ، والفرغ ، والضياء ، والنور. فقال اليهودي : إي واللّه إنها لأسماؤها.

وذكر السهيلي مسندا إلى الحرث بن أبي أسامة فذكر الحديث ، وفيه بعض اختلاف ، وذكر النطح عوضا عن المصبح. وعن وهب أن يوسف رأى وهو ابن سبع سنين أن إحدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الأرض كهيئة الدارة ، وإذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها ، فوصف ذلك لأبيه فقال : إياك أن تذكر هذا لإخوتك ، ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب سجودا له فقصها على أبيه فقال له : لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل ، وكان بين رؤيا يوسف ومسير إخوته إليه أربعون سنة ، وقيل : ثمانون. وروي أن رؤيا يوسف كانت ليلة القدر ليلة جمعة "[1]

الدراسة والتعليق : إن الحديث الذي ذكره أبو حيان في أسماء الكواكب التي رآها يوسف عليه السلام موضوع على ما نص عليه ابن الجوزي في الموضوعات ، وقد قال رحمه الله بعد إيراده لهذا الحديث ، وهذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ وكان واضعه قد قصد شين الإسلام بمثل هذا

١ – البحر المحيط(٦/ ٢٣٧) وهذا الحديث أخرجه الطبري في تفسيره (١٣ / ٩٠ ، ٩١) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى أبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم والعقيلي وابن حبان في الضعفاء ، وأبي الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه وأبي تميم والبيهقي في دلائل النبوة (الدر المنثور ١١ / ٤) .

وذكر في إسناده الحكم بن ظهير[١]

وقد أورد الهيثمي هذا الحديث في مجمع الزوائد عن البزار وقال فيه: الحكم بن ظهير وهو متروك[٢] فمدار الرواية إذن على الحكم بن ظهير الفزاري وضعه الأئمة وتركه الأكثرون، وقال الجورجاني: ساقط وهو صاحب حديث حسن يوسف [٣] .

وقال الذهبي في الميزان : قال ابن معين : ليس بثقة ، وقال مرة : ليس بشيء وقال البخاري : منكر الحديث ، وقال مرة : تركوه [٤] . ويحسبه سقوطاً مقالة البخاري فيه : منكر الحديث " وتركوه ، كما ذكر صاحب تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة هذا الحديث من رواية جابر ومن طريق سعيد بن منصور وقال محقق الكتاب عن هذا الحديث : إنه حديث منكر تقتضي نكارته الحكم بوضعه جزماً وهو في الحقيقة مأخوذ عن الإسرائيليات [٥] . وعلق الإمام الرازي على أسماء الكواكب فقال : " واعلم أن كثيراً من هذه الأسماء غير مذكور في الكتب المصنفة في صورة الكواكب والله أعلم بحقيقة الحال " [٦] . وقد علق الامام الالوسي على هذا الحديث بقوله: "وأنا لم أجد لرواية الرؤيا سندا يعول عليه ، ولا حاجة بنا الى اعتبارها لتكلف الكلام فيها"[٧]

والذي يظهر لي أنه من الإسرائيليات وألصقت بالنبي زورًا ، ثم إن سيدنا يوسف رأي كواكب بصورها لا بأسمائها ، ثم ما دخل الاسم فيما ترمز

١ – الموضوعات (١ / ١٤٦) .
٢ – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٧ / ٣٩) .
٣ – تفسير ابن كثير (٢ / ٤٨٠) .
٤ – ميزان الاعتدال (١ / ٥٧١ ، ٥٧٢) .
٥ – تنزيه الشريعة لابن عراق (١ / ١٩٤) .
٦ – مفاتيح الغيب (٦ / ٤١٩) .
٧ – روح المعاني (٦/ ٣٨٧)

إليه الرؤيا ؟[1] والله أعلم

ثانيا: الدخيل في تفسير هم يوسف عليه السلام

ومن الدخيل في تفسير القصص القرآني والتي تورط فيها كثير من المفسرين ما ذكروه عند تفسير قوله تعالى" ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه"

فقوله "ولقد همت به" "يعني ما أرادته حين اضطجعت له "وقوله "وهم بها" يعني حل سراويلـــه " [2] وقيل : لما همت به تزينت ثم استلقت على فراشها ، وهم بها وجلس بين وجليها يحل ثيابه " [3] وقيل: هَمّ يوسف أيضًا بهذه المرأة همًا صحيحًا، وجلس منها مجلس الرجل من المرأة، فلما رأى البرهان من ربه زالت عنه كل شهوة، قال الباقر بإسناده عن آبائه عن علي[4] رضي الله عنه قال: طمعت فيه وطمع فيها، وكان طمعه فيها أنه هم أن يحل التكة.

وروي عن ابن عباس[5] قال: حل الهميان وجلس منها مجلس الخاتن، ونحو هذا قال في رواية عطاء، وروي عنه أيضًا أنه سئل: ما بلغ من هم يوسف؟ قال: استلقت له وقعد بين رجليها ينزع ثيابه[6] وقوله تعالى: "لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ" قال الباقر بإسناده عن علي- رضي الله عنه- قال: قامت المرأة إلى صنم مكلل بالدر والياقوت في زاوية البيت فسترته بثوب،

---

١ – الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لأبي شهبة ص:٢٨١

٢ – ينظر : تفسير القرطبي (٩ / ١٧١) ، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢ / ٣٢١) .

٣ – انظر : تفسير ابن أبي حاتم (٧ / ٢١٢٣) .

٤ – أخرجه أبو نعيم في "الحلية" ٣/ ١٨١، انظر: "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" ٤/ ٢٢

٥ – ينظر: جامع البيان (١/ ١٨٣) والكشف والبيان ٧/ ٧٢ ومعالم التنزيل ٤/ ٢٢٨، وتفسير القرطبي ٩/ ١٦٦

٦ – ينظر:جامع البيان(١٢/ ١٨٥) والبسيط للواحدي (١٢/ ٧٢) وزاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٢٠٣)

فقال يوسف: أي شيء تصنعين؟ قال: أستحي من إلهي هرا أن يراني على السوء، فقال: أتستحين من صنم لا يعقل ولا يسمع، ولا أستحي من إلهي القائم على كل نفس بما كسبت، فوالله لا تنالينها مني أبداً، قال فهو البرهان الذي رآه.

وقال ابن عباس وعامة المفسرين: مثل له يعقوب فرأى صورته عاضًّا على أصابعه يقول: أتعمل عمل الفجار وأني مكتوب في الأنبياء، فأستحي منه، وهذا قول عكرمة ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك وابن سيرين ومقاتل ، قال سعيد بن جبير: مثل له يعقوب فضرب في صدره فخرجت شهوته من أنامله. وقال ابن عباس في رواية ابن أبي مليكة: إنه لم يزدجر برؤية صورة يعقوب حتى ركضه جبريل في ظهره، فلم يبق فيه شهوة إلا خرجت، فوثب واستبقا الباب، هذا الذي ذكره قول أئمة المفسرين الذي أخذوا التأويل عمن شاهدوا التنزيل"[١]

قلت: ما نقل عن ابن عباس – كما سبق – هو من افتراء القصاص عليه وما نسب إليه افتراء من وصف صفة هم يوسف عليه السلام ما يتنزه عنه مثله فضلاً ، البشر، فضلاً عن الأنبياء الذين بعثهم الله قدوة للناس في خلافهم وسلوكهم ، وقد حفلت كتب التفسير – وللأسف الشديد – بتلك الأخبار المنسوبة إلى هذا الصحابي الجلل دون تمييز صحيح تلك الأخبار من سقيمها .

وذهب طائفة من المفسرين– وهم الأكثرون– إلى أن يوسف كان منه هم ، **واختلف المحققون في حقيقته على أقوال من أهمها ما يلي :**

أ – فمنهم من قال إن هم يوسف كان خطرة إرادة بالقلب ، ولم ينته إلى العزم الذي هو توالى الإرادات ، وهذا هو مذهب المحققين من الفقهاء

١ – ينظر: جامع البيان(١٢/ ١٨٧) وتفسير ابن أبي حاتم(٧/ ٢١٢٤) والبسيط للواحدي (١٢/

والمتكلمين[١] وصوب هذا القول الإمام ابن قيم الجوزية حيث قال:" والصواب أن هم يوسف كان هم خطرات فتركه لله فأثابه الله عليه ، وهمها كان هم إصرار بذات معه جهدها فلم تصل إليه ، فلم يستو الهمان "[٢].

ب – وذهب جمهور المفسرين من السلف والخلف إلى حمل لفظ الهم على معناه اللغوي وهو مجرد الميل بمقتضى الطبيعة البشرية. والحيلة الخلقية ، ولم يكن من يوسف عليه السلام القصد إلى ذلك اختياراً، كما يفيده ما تقدم في السياق من استعاذته بالله في قوله "قال معاذ الله إنه ربي احسن مثواي"[٣] .

ج – أن همه بأن يضربها ويدفعها عن نفسه ، فكان البرهان الذي رآه من ربه أن الله أوقع في نفسه أنه

إن ضربها كان ضربه إياها حجة عليه ، لأنها تقول :

راودني فمنعته فضربني [٤] ثم إنه عليه السلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه فربما تعلقت به ، فكان يتمزق ثوبه من قدام وكان في علم الله تعالى أن الشاهد يشهد بأن ثوبه لو تمزق من قدام لكان يوسف هو الخائن ، ولو كان ثوبه تمزق من خلف لكانت المرأة هي الخائنة ، فالله تعالى أعلمه بهذا المعنى ، فلا جرم لم يشتغل بدفعها عن نفسه بل ولى هارباً عنها [٥] ، وضعف هذا القول ابن عطية[٦]

---

١ – انظر : تحفة الصديق في براءة الصديق لأبي عبد الله محمد بن علي البلنسي (ص ٣٥) – ط : دار العرب الإسلامي .

٢ – بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية جمع وتوثيق : يسري السيد محمد٣ / ٤٤٦ ط دار ابن الجوزي .

٣ – فتح القدير (٣ / ٢٣) .

٤ – زاد المسير (٤ / ١٥٩) .

٥ – مفاتيح الغيب (٦ / ٤٤٣) .

٦ – المحرر الوجيز (٣ / ٤٩٤) .

موقف أبي حيان من هذا الدخيل

أقول: حينما نتصدى لموقف المفسرين بالنقد والتقويم: فإننا نجد الخطأ الأكبر الذي وقع فيه جلة من المفسرين إنما يتمثل في الثقة المفرطة – في غير تحفظ – والاغترار بما نسب إلى السلف من آثار وأقوال تتجافى مع قواعد الشرع وأصول العقيدة الصحيحة التي جاء بها القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، فكان بيت الداء أن بعض المفسرين قد عولوا على نسبة الأقوال إلى السلف لا على ثبوتها عنهم ، فحجبتهم تلك النسبة عن رؤية الحق لذاته ، والنظر إلى الأقوال في ذاتها في ضوء النصوص القطعية لا سيما ضوء التنزيل الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وحفظه منزله من الدس والتبديل والوضع والاختلاق .

إن التساهل في قبول الأخبار والآثار المنسوبة للسلف أيا كان مضمونها ومغزاها قد أوقع بعض المفسرين في شرك الإسرائيليات والأباطيل التي دسها زنادقة أهل الكتاب والأفاكون من المبتدعة الذين قصدوا بها الطعن في أنبياء الله والقدح في عصمتهم ،وقد فطن لدسائسهم كثير من أئمة العلماء المحققين ،ومنهم إمامنا العلامة أبو حيان رحمه الله ،فعند مطالعة ما كتبه هذا الإمام في هذا الموضع في تفسيره نجده يقول:" طول المفسرون في تفسير هذين الهمين ، ونسب بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبته لآحاد الفساق.

والذي أختاره :أن يوسف عليه السلام لم يقع منه همّ بها البتة ، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان كما تقول : لقد قارفت لولا أن عصمك اللّه ، ولا تقول : إنّ جواب لولا متقدم عليها وإن كان لا يقوم دليل على امتناع ذلك ، بل صريح أدوات الشرط العاملة مختلف في جواز تقديم أجوبتها عليها ، وقد ذهب إلى ذلك الكوفيون ، ومن أعلام البصريين أبو زيد الأنصاري ، وأبو العباس المبرد. بل نقول : إن جواب لو لا محذوف

لدلالة ما قبله عليه ، كما يقول جمهور البصريين في قول العرب : أنت ظالم إن فعلت ، فيقدرونه إن فعلت فأنت ظالم ، ولا يدل قوله : أنت ظالم على ثبوت الظلم ، بل هو مثبت على تقدير وجود الفعل. وكذلك هنا التقدير: لولا أن رأى برهان ربه لهم بها ، فكان موجدا الهم على تقدير انتفاء رؤية البرهان ، لكنه وجد رؤية البرهان فانتفى الهم.

ولا التفات إلى قول الزجاج :ولو كان الكلام ولهم بها كان بعيدا ، فكيف مع سقوط اللام"؟ لأنه يوهم أن قوله : "وهمّ بها "هو جواب "لولا" ، ونحن لم نقل بذلك ، وإنما هو دليل الجواب. وعلى تقدير أن يكون نفس الجواب فاللام ليست بلازمة لجواز أن ما يأتي جواب لو لا إذا كان بصيغة الماضي باللام ، وبغير لام تقول : لو لا زيد لأكرمتك ، ولو لا زيد أكرمتك. فمن ذهب إلى أن قوله "وهم بها" هو نفس الجواب لم يبعد "[1] إذن : همت به هي هم الفاحشة ، وهذه إدانة لها أما هو فإنه لم يهم بها مطلقاً ، ولم يمل إليها ولا إلى معاشرتها ولو قليلاً ، وبقى مستعيذاً بالله مستعصماً عفيفاً ، والذي عصمه هو الله فيما قدم له من البرهان ، وقوى في قلبه من الإيمان [2] وعلى هذا فيوسف عليه السلام لم يقع منه هم أصلاً لوجود رؤية البرهان ، واختار هذا القول أبو حيان في تفسيره ، وحسنه السمين الحلبي في كتابه عمدة الحفاظ [3] ولا التفات لقول ابن عطية: "إنّ قول من قال: إن الكلام قد تم في قوله : ولقد همت به ، وإن جواب لولا

---

١ – البحر المحيط (٦/ ٢٥٨)

٢ – القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث د / صلاح الخالدي (٢ / ١٢٠) ط: دار القلم

٣ – ينظر : البحر المحيط (٦ / ٢٥٧) ، عمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٤ / ٢٦٠) دار الكتب العلمية

الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م .

في قوله : وهم بها ، وإن المعنى لولا أن رأى البرهان لهمّ بها فلم يهم يوسف عليه السلام قال ، وهذا قول يرده لسان العرب وأقوال السلف"[١]

رد أبي حيان على ما قاله ابن عطية :

١–أما قوله : يرده لسان العرب فليس كما ذكر ، وقد استدل من ذهب إلى جواز ذلك بوجوده في

لسان العرب قال اللّه تعالى : إِنْ كادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْ لا أَنْ رَبَطْنا عَلى قَلْبِها لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ"[٢] فقوله : إن كادت لتبدي به ، إما أن يتخرج على أنه الجواب على ما ذهب إليه ذلك القائل ، وإما أن يتخرج على ما ذهبنا إليه من أنه دليل الجواب ، والتقدير : لو لا أن ربطنا على قلبها لكادت تبدى به.

٢– أما أقوال السلف فنعتقد أنه لا يصح عن أحد منهم شيء من ذلك ، لأنها أقوال متكاذبة يناقض بعضها بعضا ، مع كونها قادحة في بعض فساق المسلمين ، فضلا عن المقطوع لهم بالعصمة.

٣– أن الذي روي عن السلف لا يساعد عليه كلام العرب ، لأنهم قدروا جواب لولا محذوفا ، ولا يدل عليه دليل ، لأنهم لم يقدروا لهم بها. ولا يدل كلام العرب إلا على أن يكون المحذوف من معنى ما قبل الشرط ، لأنّ ما قبل الشرط دليل عليه ، ولا يحذف الشيء لغير دليل عليه. وقد طهرنا كتابنا هذا عن نقل ما في كتب التفسير مما لا يليق ذكره ، واقتصرنا على ما دل عليه لسان العرب ، ومساق الآيات التي في هذه السورة مما يدل على العصمة ، وبراءة يوسف عليه السلام من كل ما

١ – المحرر الوجيز (٣/ ٤٩٥)

٢ – القصص:١٠

يشين. ٥- من أراد أن يقف على ما نقل عن المفسرين في هذه الآية فليطالع ذلك في تفسير الزمخشري وابن عطية وغيرهما.[١]

٦- أن البرهان الذي رآه يوسف هو ما آتاه اللّه تعالى من العلم الدال على تحريم ما حرمه اللّه ، واللّه لا يمكن الهم به فضلا عن الوقوع فيه.[٢]

قال الشيخ عبد الوهاب النجار :" والقول الذي لا غبار عليه ويلتئم مع سياق الآيات أن همه عليه السلام بها امتنع لوجود البرهان عنده ، وهو حرصه على الطاعة واستمساكه بآداب أبائه وبأخلاقهم الزكية الطاهرة[٣].

الدراسة والتعليق: لقد حمل أبو حيان حملة شعواء على من أراد أن ينسب لأحد أنبياء الله تعالى ما لا يليق ببعض آحاد الفساق والعصاة ، ناهيك عن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن ابراهيم عليهم السلام ؛ حيث طوف بنا في جولة بين مذهب البصريين والكوفيين ليدلل على صحة ما ذهب إليه وبما جاء في لسان العرب ، كما استشهد بآية القصص ، واستعان بأقوال السلف الذين ارتضهم الأمة ، وأثبت ما يدل على العصمة وبراءة يوسف عليه السلام ، وهذا هو منهج أبو حيان – أو جزء منه– فيما يختص بعصمة الأنبياء ، فيأخذ على عاتقه تطهير ساحتهم وبراءة موقفهم ؛لأنهم المصطفين الأخيار وحملة الهدى والرشاد إلى الخلق ، فلا ينسب إليهم إلا ما أثبته القرآن الحكيم وأكدته الأحاديث الصحاح ، ويرد كل باطل وشين وطعن يكون فيه أدنى تشويه لصورة الأنبياء عليهم السلام

١ – ينظر: البحر المحيط (٦/ ٢٥٩) .

٢ – البحر المحيط(٦/ ٢٥٩)

٣ – قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ص: ١٥٩

وتأكيدا لذلك نجد الزمخشري قد نهج نفس النهج أيضا، ونص على دس ما نسب إلى السلف من آثار في تفسير الهم المسند إلى سيدنا يوسف عليه السلام في هذه الآية فقال عن تلك الآثار والأقوال:

" ولو وجدت من يوسف عليه السلام أدنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره ، كما نعيت على آدم زلته ، وعلى داود ، وعلى نوح ، وعلى أيوب. وعلى ذي النون ، وذكرت توبتهم واستغفارهم ، كيف وقد أثنى عليه وسمى مخلصاً ، فعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام الدحض ، وأنه جاهد نفسه مجاهدة أولى القوّة والعزم ، ناظراً في دليل التحريم ووجه القبح ، حتى استحق من اللّه الثناء فيما أَنزل من كتب الأولين ، ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ، ولم يقتصر إلا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ، ليجعل له لسان صدق في الآخرين ، كما جعله لجدّه الخليل إبراهيم عليه السلام ، وليقتدي به الصالحون إلى آخر الدهر في العفة وطيب الإزار والتثبت في مواقف العثار ، فأخزى اللّه أولئك في إيرادهم ما يؤدّى إلى أن يكون إنزال اللّه السورة التي هي أحسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدي بنبي من أنبياء اللّه في القعود بين شعب الزانية وفي حل تكته للوقوع عليها ، وفي أن ينهاه ربه بثلاث كرّات ويصاح به من عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن ، وبالتوبيخ العظيم ، وبالوعيد الشديد ، وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير أنثاه ، وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل ولا ينتهى ولا ينتبه ، حتى يتداركه اللّه بجبريل وبإجباره.

ولو أن أوقح الزناة وأشطرهم وأحدهم حدقة وأصلحهم وجهاً لقى بأدنى ما لقى به نبي اللّه مما ذكروا ، لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرّك. فيا له من مذهب ما أفحشه ، ومن ضلال ما أبينه"[١]

وهكذا نرى "أن ما حيك من روايات في قصة هم يوسف مختلق، وليس أدل على ذلك من أنه لم يخرجها أحد من أهل الصحيح ، ولا أصحاب الكتب المعتمدة عند المحدثين الذين يرجع إليهم في ذلك ، وإنما ذكرها الإخباريون وبعض المفسرين وديدنهم التساهل في مثل ذلك "[٢]

وهكذا حصحص الحق على ألسنة الأثبات وفي مصنفات العلماء المحققين بما يكشف بطلان تلك الإسرائيليات والمفتريات التي دسها أعداء الإسلام وخصومه في تفسير كتاب الله المبين

ثالثا: الدخيل في ما قيل بشأن تمكين يوسف ودخوله على الملك وتوليته خزائن مصر

وعند تفسير قوله تعالى " وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ. قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ. وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ. وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ" [٣] نجد أبا حيان يذكر بعض الروايات في ذلك فيقول:" روي أن الملك توجه بتاجه ، وختمه بخاتمه ، ورداه بسيفه ، ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت ، فجلس على السرير ، ودانت له الملوك ، وفوض الملك إليه أمره وعزل قطفير ، ثم مات بعد ، فزوجه الملك امرأته ، فلما دخل عليها قال : أليس هذا خيرا مما طلبت؟ فوجدها

١ – الكشاف (٢/ ٤٥٧، ٤٥٨)

٢ – الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير د: رمزي نعناعة ص: ٢٧٦

٣ – يوسف: ٥٤– ٥٦

عذراء ، لأنّ العزيز كان لا يطأ ، فولدت له ولدين : إفرائيم ، ومنشا، وأقام العدل بمصر ، وأحبه الرجال والنساء ، وأسلم على يده الملك وكثير من الناس ، وباع من أهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الأولى حتى لم يبق معهم شيء منها ، ثم بالحلي والجواهر ، ثم بالدواب ، ثم بالضياع والعقار ، ثم برقابهم ، ثم استرقهم جميعا فقالوا : واللّه ما رأينا كاليوم ملكا أجل ولا أعظم منه فقال للملك : كيف رأيت صنع اللّه بي فيما خولني ، فما ترى؟ قال : الرأي رأيك قال : فإني أشهد اللّه وأشهدك أني أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم. وكان لا يبيع من أحد من الممتارين أكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس ، وأصاب أرض كنعان وبلاد الشام نحو ما أصاب مصر ، فأرسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين" (١)

الدراسة والتعليق

ما ذكره أبو حيان وغيره من المفسرين من زواج يوسف بامرأة العزيز وإعادتها عذراء كما كانت دون أن يعزوه لقائل إنما هو من قول وهب بن منبه على ما ذكره الثعلبي في العوانس (٢) أما ما ذكره أبو حيان من أن يوسف عليه السلام باع الطعام للناس في أول سنة من سني القحط بالنقود حتى استولى على دنانيرهم ودراهمهم ، وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر ، وفي السنة الثالثة بالمواشي والدواب ، وفي الرابعة بالعقار ، وفي الخامسة بالرقاب والأرواح فبعيد عن الحق والصواب والمنطق ، لأن قول لا حجة له ودعوى لا دليل عليها ، فمثل هذه الأمور – كما ذكرنا آنفاً

١ – البحر المحيط (٦/ ٢٩٢)

٢ – قصص الانبياء المسمى (عرائس المجالس)للثعلبي ص ١١١ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .

– يكون طريق العلم بها ا لنقل ، وما لم يكن كذلك ، بل كان يؤخذ من أهل الكتاب فلا يجوز تصديقه ولا تكذيبه .

وعلى فرض صحة هذه المرويات يحق لنا أن نتساءل: ألم يكن هذا الفعل بهذه الصورة من أفعال المستبدين الجاهلين بالحكم وأساليبه ؟وهـــذا بالطبع لا يتفق وحكمة نبي مـــن أنبياء الله يوسف عليه السلام .

وهذه الأخبار الإسرائيلية التي نقلها أو اقتبسها أبو حيان وغيره من المفسرين إنما هي من قبيل ما يحتمل الصدق والكذب ، ولكن الأولى عدم الاشتغال بها ، فالإمساك عنها خير من روايتها لأن الاشتغال بها عبث لا فائدة فيه . وحسبنا أن نقف عندما قصه الله تعالى علينا من غير أن نفسد جمال تفسير القرآن الكريم بمثل هذه الإسرائيليات التي لا سند لها من كتاب أو سنة فهما المصدران اللذان يقول عليهما في بيان مثل هذه الأمور ، ولم يثبت أنهما بينا لنا شيئاً منها ولا أدري من أين جاء الرواة بها ؟

والحق أنه لا مصدر لذلك إلا ما جاء في الإصحاح الحادي والأربعين من سفر التكوين فقد جاء فيه أن الملك حين دخل يوسف عليه قال له : جعلتك على كل أرض مصر خلع خاتمه من يده وجعله في يد يوسف وألبسه ثياب بوض ووضع طوق ذهب في عنقه ، وأركبه في مركبته الثانية وأعطاه " سنات بنت فوطي فارغ " زوجة وكان يوسف ابن ثلاثين سنة حين هذا الحادث ...الخ (١).

ومن ذلك يتبين أن مثل هذه الروايات إنما هو مما عند أهل الكتاب وغني عن البيان أن ما عندهم ليس بحجة إلا إذا ورد في شرعنا ما يؤيده، ويعجبني في هذا المقال قول الشهاب العراقي فقد نص على أن زواج يوسف بامرأة العزيز وإعادتها عذراء كما كانت لا أصل له ولا تعويل عليه فقال : وشاع عند القصاص أنها عادت شابة بكراً إكراماً له عليه

١– كتاب قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

السلام بعد ما كانت ثيباً غير شابه، وهذا مما لا اصل له ، وخبر تزوجها أيضاً مما لا يعول عليه عند المحدثين " (١) .

ومن المفيد هنا أن ننقل رأي الحافظ ابن كثير في هذه المرويات الإسرائيلية التي تسربت إلى تراث المسلمين مما هو عند أهل الكتاب ، والتي أكثر من ذكرها كثير من المفسرين وفي زمرتهم يقول : رحمه الله – ما نصه : " وما ذكره بعض المفسرين من أنه يعني يوسف باعهم في السنة الأولى بالأموال ، وفي السنة الثانية بالمتاع ، وفي الثالثة بكذا وفي الرابعة بكذا حتى باعوا أنفسهم وأولادهم بعد ما تملك عليهم جميع ما يملكون ، ثم أعتقهم ورد عليهم أموالهم كلها ، والله أعلم بصحة ذلك وهو من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب والله أعلم (٢) .

المطلب السادس: موقفه من الدخيل في صفة حجر موسى عليه السلام

فمن الدخيل الذي أورده أبو حيان في تفسير القصص القرآني صفة حجر موسى عليه السلام ، مبرئا ساحة هذا النبي الكريم من تلك الافتراءات الإسرائيلية ،فحينما ذكر أقوال المفسرين في المراد بقوله تعالى" فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا"(٣) ، حيث بلغت سبعة عشر قولا مبينة طبيعة الحجر وشكله وهيئته ووظيفته وقوته قال رحمه الله :" فهذه أقوال المفسرين في الحجر ، وظاهرها أو ظاهر أكثرها التعارض. قال بعض من جمع في تفسير القرآن : الأليق أنه الحجر الذي فرّ بثوب موسى عليه السلام ، فإن اللّه أودع فيه حركة التنقل والسعي ،

١– روح المعاني (١٣ / ٥) .
٢– تفسير ابن كثير (٢ / ٤٩٦) .
٣ – البقرة: ٦٠

أو وكل به ملكا يحمله ولا يستنكر ذلك. فقد صح أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم قال : "إني لأعرف حجرا كان يسلم عليّ"[١]

وقد رام هذا الرجل الجمع بين هذه الأقوال بأن يكون الحجر غير معين ، بل أيّ حجر وجده ضربه ، فوجد مرّة مربعا ، ومرّة كذانا [٢] ، ومرة رخاما ، وكذا باقيها، قال : فروى الراوي صفة ذلك الحجر الذي ضربه في تلك المنزلة قال : فيزول التغاير في الكيفيات ، ويحصل التوفيق بين الروايات. وهذا الكلام كما ترى. وظاهر القرآن : أن الحجر ليس بمعين ، إذ لم يتقدم ذكر حجر فيكون هذا معهودا ، وأن الاستسقاء لم يتكرّر ، لا هو ولا الضرب ولا الانفجار ، وأن هذه الكيفيات التي ذكروها لم يتعرّض لها لفظ القرآن ، فيحتمل أن يكون ذلك متكررا ، ويحتمل أن يكون ذلك مرة واحدة ، والواحدة هي المتحققة. "[٣]

الدراسة والتعليق : لقد برأ الإمام أبو حيان ساحة سيدنا موسى عليه السلام من ادعاءات بعض المفسرين ، ونقل أقوال عن اليهود والنصارى ، وبين أن القرآن لم يتعرض لما قيل في حقيقة هذا الحجر ، ودفع التعارض بين أقوال المفسرين مع الترجيح ،وثمة وجوه أخرى ذكرها أبو حيان –في البحر– متفرعة عن اعتبار اللام للعهد ،بيد أنها – كما ذكر الإمام الألوسي– كثيرة ، وظاهر أكثرها التعارض ، ولا ينبني على تعيين هذا الحجر أمر ديني ، والأسلم تفويض علمه إلى اللّه تعالى "[٤].

---

١ – أخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم وتسليم الحجر عليه قبل النبوة (٤/ ١٧٨٢) والترمذي في سننه كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب في إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم (٥/ ٥٩٤)

٢ – الكذان: بتشديد الذال – حجارة فيها رخاوة، وربما كانت نخرة (انظر: المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية(٢/ ٨١٢)

٣ – البحر المحيط(١/ ٣٦٧، ٣٦٨)

٤ – روح المعاني(١/ ٢٧١)

وهكذا تجد منازع المفسرين في فهم النص القرآني في ضوء مقتضى ظاهر النص من جهة ، وفي ضوء تنوع أقوال السلف وتغايرها من جهة أخرى، مع إزالة التعارض باحتمال تكرار الوقائع والأحداث ، وفي هذا التنوع ثراء للمفاد القرآني دون شك، بيد أن الأسلم في النهاية هو التفويض في تحديد المراد إلى الله تعالى

المطلب السابع :موقفه من قصة الغرانيق

لا ريب أن قصة الغرانيق من الروايات الباطلة التي أراد بها اعداء الإسلام هدم الدين من أساسه ، وقد انتهز أعداء الإسلام مدة من الزمان صفت فيها نوايا الرواة من العلماء وثغرة سولها لهم الشيطان ، وخولها لهم الكفر فتطاولوا على مقام النبوة ، وحاولوا أن يبطلوا أصول الدعوة الإسلامية بإثبات تدخل الشيطان مع النبي صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه من آي الذكر الحكيم ، يقول إمامنا أبو حيان في تفسيره مبرزا موقفه من هذه القصة :"وهذه الآية ليس فيها إسناد شيء إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم ، إنما تضمنت حالة من كان قبله من الرسل والأنبياء إذا تمنوا. وذكر المفسرون في كتبهم ابن عطية والزمخشري فمن قبلهما ومن بعدهما ما لا يجوز وقوعه من آحاد المؤمنين منسوبا إلى المعصوم صلوات اللّه عليه ، وأطالوا في ذلك وفي تقريره سؤالا وجوابا ،وهي قصة سئل عنها الإمام محمد ابن إسحاق جامع السيرة النبوية([1]) فقال: هذا من وضع الزنادقة ، وصنف في ذلك كتابا. وقال الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ، وقال ما معناه :

١ – لقد عقب العلامة الدكتور أبو شهبة على ما ذهب إليه أبو حيان من أنه ابن إسحاق جامع السيرة وأكد أنه ابن خزيمة فقال :" وقد بحثت فتبين لي أن ابن إسحاق جامع السيرة ممن ذكرها في سيرته فاستبعدت معه أن يكون هو الذي فندها ورجحت الأول. وابن خزيمة من الحفاظ الكبار توفي سنة ٣١١ ه(ينظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص:٤٠٠)

إن رواتها مطعون عليهم وليس في الصحاح ولا في التصانيف الحديثة شيء مما ذكروه فوجب اطّراحه ولذلك نزهت كتابي عن ذكره فيه. والعجب من نقل هذا وهم يتلون في كتاب اللّه تعالى "وَالنَّجْمِ إِذا هَوى ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَما غَوى وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى"[١] وقال اللّه تعالى آمرا نبيه "قُلْ ما يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ" [٢] وقال تعالى" وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ لأخذنا منه باليمين"[٣] وقال تعالى : "وَلَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شيئا قليلا"[٤] فالتثبيت واقع والمقاربة منفية. وقال تعالى" كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ" [٥] وقال تعالى" سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى"[٦] وهذه نصوص تشهد بعصمته وأما من جهة المعقول فلا يمكن ذلك لأن تجويزه يطرق إلى تجويزه في جميع الأحكام والشريعة فلا يؤمن فيها التبديل والتغيير ، واستحالة ذلك معلومة."[٧]

الدراسة والتعليق: الناظر في ما سبق يجد أن أبا حيان قد نزه تفسيره عن ذكر هذه القصة المطعون فيها ، ولم يكتف بذلك بل قام بردها وإبطالها ودحضها نقلا من خلال نصوص القرآن التي تشهد بعصمة من التقول والتبديل والزيادة في القرآن ما ليس منه، وأقوال العلماء والمحدثين، وعقلا لأن تجويز ذلك يؤدي إلى تجويزه في جميع الأحكام التشريعية ، وذلك محال . ونضيف إلى ذلك أيضا :

---

١ -النجم: ١-٤

٢ -يونس: ١٥

٣ -الحاقة: ٤٤-٤٥

٤ -الإسراء: ٧٤

٥ - الفرقان:٣٢

٦ - الاعلى:٦

٧ -البحر المحيط(٧/ ٥٢٦)

أولا: أفادت القصة : "تسلط الشيطان على النبي بالزيادة في القرآن ما ليس منه ، وهو مخالف لقوله تعالى :"إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ"[١] وأي شخص أحق بهذه العبودية من الأنبياء بله رسول الله ؟ وقال تعالى "إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ"[٢] وأي بشر أصدق إيمانا وأقوى توكلا من رسول الله ؟ وقد صدق الشيطان ذلك ، كما حكاه الله تعالى عنه بقوله "قال فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ" [٣] بفتح اللام وكسرها ، ومن أحق من الأنبياء بالاصطفاء ، أو أو من أشد إخلاصا منهم ؟[٤]

ثانيا: قام الدليل وأجمعت الأمة على عصمته ، عليه الصلاة والسلام من مثل ما روي إما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا ، من مدح آلهة العرب وهو كفر ، أو أن يتسور عليه الشيطان ، ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ، ويعتقد النبي ذلك ، حتى ينبهه جبريل ، وذلك ممتنع في حقه أن يقوله من قبل نفسه عمدا وهو كفر ، أو سهوًا وهو معصوم ، وقد ثبت بالبراهين والإجماع عصمته من جريان ذلك على لسانه ، أو قلبه ، لا عمدا ولا سهوا ، أو يكون للشيطان سبيل عليه في التبليغ ، ولو جوزنا ذلك لذهبت الثقة بالأنبياء ، ولوجد المارقون سبيلا للتشكيك في الأديان[٥]

ثالثا: وهناك وجه آخر لفساد هذه القصة : وهو أن الله تعالى ذم الأصنام في هذه السورة ، وأنكر على عابديها ، وجعلها أسماء لا مسمى لها ، وما التمسك بأذيالها إلا أوهام وظنون ، فلو أن القصة صحيحة : لما كان هناك تناسب بين ما قبلها وما بعدها ، ولكان النظْم مفككا ، والكلام متخاذلا ،

---

١ –سورة الحجر٤٢

٢ –النحل: ٩٩

٣ – سورة ص:٨٢–٨٣

٤ – الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص:٤٠٣

٥ – الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (٢/ ١١٩)

وكيف يقع مدح بين ذمين ؟ بل كيف يجوز هذا ممن كمل عقله على كل العقول ، واتسع في باب البيان ومعرفة الفصيح علمه ؟ وكيف يطمئن إلى مثل هذا التناقض السامعون ، وهم أهل اللسان والفصاحة ، ومنهم أعداؤه الذين يتلمسون له الزلات والعثرات ؟ ولو أن ما روي كان واقعا لشغب المعادون ، وارتد الضعفاء من المؤمنين ، ولقامت قيامة مكة ، كما حدث في الإسراء ، ولكن شيئا من ذلك لم يكن.[١]

وإذا كانت القصة غير ثابتة من جهة النقل ، وهي مخالفة للقرآن المتواتر ، ومناقضة لما ثبت بالعقل ، مع تعذر التأويل ، فلا جرم أن التحقيق يدعوني إلى أن أقرر بأن قصة الغرانيق مكذوب مختلقة وضعتها الزنادقة ، الذين يحاولون إفساد الدين والطعن في خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه .

وختاما :فهذه القصة تصطدم مع عصمة النبوة، وتعارض التوحيد ، لذا فهي مرفوضة مردودة ولو تعددت رواياتها ومصادرها ، ولعل من ذكرها من علمائنا السابقين فلأن منهجه استيفاء جميع الروايات والأخبار بغض النظر عن القبول والرد، أو ذكرها مطمئنا على فطنة القارئ المسلم وعلى أي حال فهي فرية لا يحق بحال أن تذكر في كتبنا ، أو ان تتردد على ألسنتنا، ومن واجبنا أن نطهر كتب التراث منها

١ – الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص: ٤٠٤ بتصرف

الخاتمة

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى اليوم الآخر **وبعد** :فهذا ما وفقني الله تعالى إلى ما ضمنته هذا البحث من بيان الدخيل في تفسير بعض القصص القرآني عند أبي حيان رحمه الله دراسة وتعليق .ومن هذا البحث تستنتج :

١- أن تفسير أبي حيان يعد أنقى وأرقى من تفاسير أخر ، بل يعتبر أرجح من كثير من التفاسير المقلة من هذا النوع من المرويات ، لما فيه من تعقيبات وتنبيهات نحسبه لم يسبق إليها ، ومع ذلك كله لم يسلم تفسيره من بعض الروايات الباطلة والمكذوبة ــ على قلتها ــ وإن كانت مما لا مساس لها بالعقيدة أو الملة بصفة عامة ، بل هي مما لا يفيد العلم به ولا يضر الجهل به ، كالقصة الواردة في أخبار إرم ذات العماد، والحديث المكذوب عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في أسماء الكواكب التي رآها يوسف عليه السلام في منامه، وتلك لازمة بشرية لا ينجو منها إلا من خصه الله بمقام العصمة .

٢- مدى خطورة الدخيل في القصص القرآني وانتشاره في كتب التفسير والتي كانت سبباً قوياً في إضعاف الثقافة الإسلامية لدى المسلمين مما يؤكد على أهمية هذا العلم لمن يريد أن يفسر كتاب الله تعالى فيه يعرف المفسر الدخيل على التفسير والحديث وما هو حق وما هو باطل .

٣ – خطأ بعض المفسرين –ومنهم إمامنا أبو حيان– في نقلهم لهذه الإسرائيليات دون تنبيه أو تفنيد لها أو دحضها ،مما أوقع بعض العوام في اللبس والخطأ .

٤- من أبرز المقامات القرآنية التي مستها شوائب الدخيل بكل فروعه مقام القصة القرآنية، وقد علم أعداء الإسلام من اليهود والنصارى، ومن

تبعهم الدور الكبير الذي تلعبه القصة القرآنية، فأغرقوا ساحتها بأخبار وروايات وقصص باطلة ومحرفة على حسب أهوائهم، وضيق نفوسهم الحاقدة، وخاصة ذلك القصص المتعلق بأخبار الأمم السابقة وقصص الأنبياء عليهم السلام.

٥- وجوب تصدي العلماء لهذا اللون من الدخيل والإسرائيليات وتطهير كتب التفسير والحديث منها حتى تظل لمن يقرؤها بيضاء نقية طاهرة وحتى لا ينخدع العوام بما فيها من قصص وروايات خرافية منسوجة على الأنبياء الصالحين مما يؤذي الدين الإسلامي ويضر به ، ويسنح للمستشرقين الخوض فيه والنيل منه ، وحق كتاب الله علينا أن نطهر تفسيره من تلك الروايات الإسرائيلية ليبقى نبع التفسير عذبا صافيا سائغا للشاربين.

المصادر والمراجع

أولا: كتب التفسير وعلوم القرآن

١-إرشاد العقل السليم إلي مزايا القرآن الكريم للعلامة أبي السعود دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان

٢- الإسرائيليات في التفسير والحديث د محمد الذهبي ،سلسلة البحوث الإسلامية ١٣٩١ هـ ١٩٧١م

٣- الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير د: رمزي نعناعة ، شبكة الإنترنت

٤-الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير د محمد أبو شهبة مكتبة السنة القاهرة ط:٤

٥- البحر المحيط لأبي حيان ت : صدقي محمد جميل دار الفكر ـ بيروت ١٤٢٠ هـ

٦- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي ت: عبد العليم الطحاوي المكتبة العلمية بيروت

٧- التحبير في علم التفسير للسيوطي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

٨- التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي الكلبي

٩- التفسير الكبير للإمام الرازي– دار إحياء التراث العربي.

١٠- تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين

١١- تفسير القرن العظيم لابن كثير دار البيان العربي القاهرة

١٢- التفسير والمفسرون، للدكتور: محمد حسين الذهبي، ط٦، مكتبة وهبة : القاهرة ،١٩٩٥م

١٣- جامع البيان للإمام الطبري – دار المعرفة – بيروت .

١٤- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي – دار الحديث – القاهرة.

١٥ – حاشية محي الدين زاده على تفسير البيضاوي – المكتب الإسلامي .

١٦- الدخيل في تفسير القرآن الكريم: د/عبد الوهاب فايد – ط : أولى.
١٧- الدر المنثور للإمام السيوطى ، دار المعرفة – بيروت – لبنان
١٨- الدخيل في التفسير د. ابراهيم عبد الر حمن خليفه ، مطبعة دار الكتاب بمصر
١٩- الدخيل في تفسير القرآن الكريم د عبد الوهاب فايد ،ط ١، ١٣٩٨ هـ ، ١٩٧٨ مطبعة حسان
٢٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي دار الفكر – ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م
٢١- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي – ط : المكتب الإسلامي – دمشق – طبعة أولى .
٢٢- عمدة الحفاظ للسمين الحلبي ،دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م .
٢٣- فتح القدير للشوكاني – عالم المعرفة – بدون تاريخ
٢٤- القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث د/ صلاح الخالدي ط: دار القلم
٢٥- لباب التأويل للخازن شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر
٢٦- مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ،مكتبة المعارف ط الثالثة ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م
٢٧- معالم التنزيل للبغوي دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ، ط : الأولي
٢٨- المفردات في غريب القرآن للأصفهاني – دار الفكر .
٢٩- مقارنة منهجية بين المفسرين الأندلسيين (القرطبي وأبي حيان) د. عودة عبد عودة عبد الله جامعة النجاح الوطنية – نابلس – فلسطين

٣٠- الموازنة بين تفسير الكشاف للزمخشري والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي د: رمضان يخلف، كلية أصول الدين – جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية – الجزائر

٣١- مناهج المفسرين د: منيع عبد الحليم محمود ، دار الكتاب المصري: القاهرة ٢٠٠٠م

ثانيا :كتب الحديث وعلومه

١- إحياء علوم الدين للغزالي – ط : المكتبة التجارية الكبرى .

٢- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني ط: دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٦م

٣- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة – ط : دار الكتاب العربي – بيروت

٤- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لابن عراق الكناني دار الكتب العلمية

٥- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني دار المعارف الرياض ،ط:١ ١٩٩٢

٦- الشفا في تعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ،دار التراث القاهرة

٧- صحيح الإمام البخاري ط: دَار إِحْيَاء التراث العربي، ت: مُحَمَّد فؤاد عبد الْبَاقِي

٨- صحيح مسلم بشرح النووي – ط : دار الحديث القاهرة .

٩- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر دار الريان للتراث – القاهرة ط : الأولى ١٩٨٦م

١٠- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٦م

١١- المستدرك للحاكم دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط:١ ، ١٩٩٠

١٢- مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث لابن الصلاح ، مكتبة الفارابي ط:١، ١٩٨٤م

١٣- الموضوعات لابن الجوزي – دار الفكر – بدون تاريخ.

ثالثا: كتب التاريخ والتراجم

١- الأعلام، للزركلي ط٧، ١٩٨٦م، دار العلم للملايين : بيروت،

٢- أعيان العصر وأعوان النصر ،للصفدي ، دار الفكر : دمشق . ١٩٩٨م

٣- البداية والنهاية لابن كثير ، دار إحياء التراث العربي الطبعة الاولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

٤- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ،لابن حجر العسقلاني دار إحياء التراث العربي: بيروت،

٥- طبقات الشافعية الكبرى، لعبد الوهاب بن علي السبكي تحقيق: محمود محمد الطناحي، ط١، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه – القاهرة

٦- طبقات المفسرين للداوودي، دار الكتب العلمية: بيروت

٧- قصص الانبياء لابن كثير مكتبة التقوى القاهرة ١٩٩٩م

٨- قصص الأنبياء المسمى (عرائس المجالس)للثعلبي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر

٩- قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار مكتبة التراث – القاهرة.

١٠- لسان العرب لابن منظور دار المعارف – مصر .

١١- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقري التلمساني تحقيق: إحسان عباس، دار صادر : بيروت١٩٦٨م.

كتب العقيدة

١- الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم مكتبة الخانجي – القاهرة

٢- المواقف لعضد الدين الإيجي ت: د/عبد الرحمن عميرة دار الجيل – بيروت الطبعة الأولى ، ١٩٩٧

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٨٣
الفصل الأول: نبذة عامة عن الدخيل والقصص	٨٩
المبحث الأول : معنى الدخيل والإسرائيليات والعلاقة بينهما	٨٩
المبحث الثاني : ظهور الإسرائيليات ودخولها في التفسير القرآني	٩٤
المبحث الثالث أسباب وجود الدخيل في التفسير	٩٧
المبحث الرابع: خطورة الدخيل في تفسير القصص القرآني	١٠٢
المبحث الخامس: مفهوم القصص وأنواعه في القرآن الكريم	١٠٨
الفصل الثاني :أبو حيان وموقفه من الإسرائيليات في تفسيره	١١٠
المبحث الأول: التعريف بالعلامة أبي حيان رحمه الله	١١٠
المبحث الثاني منهج أبي حيان في رواية الإسرائيليات في تفسيره	١١٥
الفصل الثالث مظاهر الدخيل في تفسير بعض القصص القرآني عند أبي حيان	١٢٤
المبحث الأول : موقفه من الدخيل في تفسير بعض قصص غير الأنبياء	١٢٥
المطلب الأول :موقف أبي حيان من الدخيل في قصة بناء البيت الحرام	١٢٥
المطلب الثاني: موقفه من الدخيل في ما جاء في اسم النمروذ	١٢٩
المطلب الثالث: موقفه من الدخيل في قصة إرم ذات العماد	١٣٠
المطلب الرابع: موقفه من الدخيل في تفسير قصة هاروت وماروت	١٣٥
المبحث الثاني: موقف أبي حيان من الدخيل في تفسير بعض قصص الأنبياء	١٤٣
المطلب الأول: موقفه من الدخيل في تفسير قصة داود عليه السلام	١٤٣
المطلب الثاني: موقفه من الدخيل في تفسير قصة سليمان عليه السلام	١٤٩
المطلب الثالث: موقفه من الدخيل في تفسير قصة أيوب عليه السلام	١٦٣
المطلب الرابع : موقفه من الدخيل في قصة الذبيح عليه السلام	١٧١
المطلب الخامس: موقفه من الدخيل في قصة يوسف عليه السلام	١٧٦
المطلب السادس : موقفه من الدخيل في صفة حجر موسى عليه السلام	١٩٠
المطلب السابع :موقفه من قصة الغرانيق	١٩٢
الخاتمة	١٩٦
المصادر والمراجع	١٩٨
فهرس الموضوعات	٢٠٢